الفصل الثاني

الإعلام والحفاظ على الهوية الثقافية

الفصل الثاني

الإعلام والحفاظ على الهوية الثقافية

تمهيد

تشكل الثقافة بمكوناتها المختلفة الرافد الأساسي والرئيسي لتكوين الفكر والوعي والتنمية والمخزون المعرفي الاستراتيجي الذي تستمد منه الشعوب معارفها وخبراتها وتجاربها في ميادين العلوم والأدب والفنون... على مدى السنين والأجيال.

ولا تقل أهمية الإعلام ودور وسائله المختلفة المطبوعة والمسموعة والمرئية والإليكترونية في تشكيل هذه الثقافة والاتجاهات والميول وقد يمتد إلى تغيير السلوكيات بما يساهم في بناء المجتمع وتحقيق التفاعل والتماسك الاجتماعي والعمل على تقدم ورقي المجتمع للنهوض بالواقع الثقافي إلى منارة الدول المتقدمة التي استثمرت وطوعت وسائل الإعلام لخدمة أغراضها وأهدافها لحماية تراثها في حين أن الإعلام العربي بترنح ما بين الإعلام الترفيهي والإعلام المنفلت والإعلام المتصارع على أبسط القضايا والموضوعات مع ترك القضايا المصيرية التي تربط جميع الدول العربية والإسلامية معرضة للخطر بل الذهب والسرقة وخاصة القضية الفلسطينية والتراث الفلسطيني مما يطرح تساؤل هام ما دور هذه القنوات الفضائية العربية (ما يقارب ٥٠٠ قناة) ؟ وما القضايا التي تتناولها في ظل تهويد القدس والحفر تحت المسجد الأقصى والاستيطان وبناء الجدار بخلاف القتل والتجريف والقصف والتدمير لكل ما هو فلسطيني عربي إسلامي في الأراضي الفلسطينية؟.

وأصبح الاهتمام بالهوية الثقافية العربية أمراً ضرورياً وذلك لما آلت إليه أحوال الأمة العربية وتشتتها وضياع معالم القوة الذاتية مما جعلنا نتيه في عالم متفاوت الاتجاهات والرغبات تنازعه قوى السيطرة والأيديولوجيات الاستعمارية، حيث تسعى كل جهة لطمس حضارات الشعوب وثقافتها، وقد حاول الاستعمار فرض التجزئة على عالمنا العربي بقوة البطش فتوزعت الدول التي حظيت بالسيادة الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية عالمنا العربي ونتيجة للنضال المرير الذي خاضته الشعوب العربية من أجل الحرية والاستقلال لجأت هذه الدول إلى وسيلة أشد إيلاماً وأكثر فتكاً، إذ سيطرت على منابع الفكر والثقافة العربية والإسلامية [١].

---

(١) سعيد سلمان. **الهوية العربية والإسلامية في الخليج العربي**. ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي، مسقط ٢١ – ٢٢ أبريل ١٩٨٥(الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٧) ص١٧.

وتمارس وسائل الإعلام دوراً أساسياً في تشكيل اتجاهات الجماهير والمحافظة على الشكل الاجتماعي للمجتمع، و هذا ما ذ هب إليه علماء الاجتماع، إذ رأوا أن وسائل الإعلام تستطيع التأثير في سلوك الأفراد والعمل على إبراز العادات والتقاليد التي تعمل على زيادة الارتباط بين أفراد المجتمع الواحد وقد ربط العلماء قديماً بين التقدم المادي والإعلامي في المجتمع وزيادة وعي الأفراد، أي أن هناك إنتاج آخر غير الإنتاج المادي و هو إنتاج ذهني واجتماعي وتلعب القوانين الاجتماعية والنظم الثقافية دوراً هاماً في المجتمع، ويأتي ذلك من خلال مواكبة التقدم في مجالات التكنولوجيا المتعددة (١).

والإعلام بما يمثله من قوة باستخدامه أجهزة تقنية معقدة ومتطورة يستطيع أن يفعل الكثير من أجل خير المجتمع وتقدمه، و هذا التقدم المذهل في عالم الاتصال وأدواته يشير إلى خطورة الدور الذي يمكن أن يقوم به الإعلام في مواجهة قضايا أمتنا على اختلاف أنواعها ومضامينها وذلك كله يعتمد على التوجيه الذي يعني الإعلام بالإلحاح عليه، والأفكار التي يعرضها عبر أجهزته وصفحاته وشاشاته فهو قوة خطيرة إن استخدام لحقيق الإيجابيات والأهداف النبيلة حيث يكون قادراً على تثبيتها وإنجاحها.

ومن هنا نجد أن الإعلام يتحمل المسؤولية إزاء قضية الهوية الثقافية أو الذاتية الثقافية التي قوامها عدد من الركائز الأساسية تتمثل في الدين واللغة العربية والانتماء إلى تراث حضاري وثقافي له أسسه وملامحه الواضحة والثابتة، لكي يكون در عاً واقياً يصون هذه الهوية الثقافية ويحميها مما يداهمها من محاولات الغزو الفكري والإعلامي التي تأخذ شكلاً وألواناً متعددة لكي تظل الهوية الثقافية بمنأى عن الاختراق، ولكي تظل منسجمة مع نفسها ومع رسالتها ومع دور هذه الأمة ومكانتها على خريطة البشرية (٢).

وتقوم وسائل الإعلام بدور – إن لم يكن أكبر الأدوار – في توجيه الدعوة إلى إحياء التراث ورسم إطار أسلوب العمل في تنفيذ هذه المهمة، ونحن في أمس الحاجة لإحياء التراث حتى نسترد الوعي بالميراث الثقافي والشخصية الحضارية التاريخية، والإنجازات العلمية للأمة الإسلامية (٣).

وإن للتراث أهمية كبرى في حياة الأمم، إذ يحمل مقوماتها التي ثبتت على مر الزمن فمنه حضارتها، ومقوم أصالتها وشخصيتها المتميزة ومنه تستمد أصول

---

(1)Hall. **culture , The media، and the ideological effect**s, in James Curran , mass communication and society, The openuniversity,1979,Stuart, pp:315٣١٦-.

(٢) تيسير أبو عرجة.**الإعلام والثقافة العربية**. الموقف والرسالة. ط١ (عمان: دار مجدلاوي، ٢٠٠٣) ص٤٦.

(٣) عبد الحكيم بدران. **مرجع سابق**، ص١٨٧.

تطور ها وازدهار ها الفكري والمادي، ويظهر هنا مفهوم الأصالة على أن التراث الفلسطيني والعربي والإسلامي يزخر بمواد يجب الحفاظ عليها وتوثيقها والإفادة بما تحتويه من قيم ومعارف، والتعريف بها من خلال وسائل الإعلام المختلفة ومن خلال التليفزيون بصفة خاصة [١].

تكنولوجيا الاتصال والثقافة

إن المزج بين أكثر من وسيلة اتصال، أو المزج بين وسائل الاتصال وتقنيات المعلومات فيما يعرف الآن بتكنولوجيا الاتصال التفاعلي أو الاتصال متعدد الوسائط ، فقد تم مزج الهاتف مع الحاسبات الإلكترونية فيما يعرف بأنظمة البريد الإلكترونية، ومزج التليفزيون بالحسابات الإلكتروذية فيما يعرف بأنظمة النصوص المتلفزة وتم مزج أنظمة الأقمار الصناعية مع أنظمة الإرسال التليفزيوني فيما يعرف بأنظمة البث المباشر عبر الأقمار الصناعية [٢].

والتطور الهائل الذي شهدته وسائل الاتصال الجماهيرية كان له أثر كبير في انتقال الثقافات بين المجتمعات المختلفة وداخل المجتمع الواحد وهو أمر يمكن أن يساعد في تحقيق التقارب بين هذه المجتمعات، بالإضافة إلى ما يحققه في مجال الانتقال بما يخدم قضايا التفاهم والسلام العالمي[٣].

كما أن الدخول في عصر الأقمار الصناعية، وهو عصر يحمل كثيراً من المتغيرات يتطلب وضع سياسات اتصالية جديدة في الاعتبار للعديد من المتغيرات التي حدثت في العالم في مجالات السياسة والاقتصاد والبيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية والسكانية [٤].

ومن ناحية أخرى يرى البعض أن هذا التطور التكنولوجي الهائل يعتبر تهديداً لبعض الثقافات الوطنية التي تتعرض لهيمنة الثقافات الوافدة عبر وسائل الإعلام الكونية وسيطرتها فرغم أنه من المتفق عليه أن الثقافات المحلية تنمو وتزدهر باتصالها بالثقافات الأخرى، يسود التخوف منه أنه من خلال استخدام تكنولوجيا

---

(١) سهير جاد. **البرامج الثقافية في الراديو والتلفزيون** (القاهرة: دار الفجر، ١٩٩٧) ص٢٣٩.
(٢)محمود علم الدين. **تكنولوجيا الاتصال في الوطن العربي** المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول والثاني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب(القاهرة: عالم الفكر، ١٩٩٤) ص٩٧.
(٣) علي عجوة. **مرجع سابق**، ص١٥٩.
(٤)سعد لبيب، **نحو سياسات تليفزيونية جديدة في عصر أقمار الاتصال والبث المباشر**، الدراسات الإعلامية. ع٦١ (القاهرة: المركز العربي للدراسات الإعلامية، ١٩٩٠) ص ٣٤.

الاتصال الحديثة تتعرض بعض الثقافات لخطر فقدان هويتها وتنغمس في ثقافات من يملك تلك التكنولوجيا الحديثة [١].

والتطور التكنولوجي في وسائل الاتصال لا سيما في دول الشمال أوجد ما يسمى بعالمية الثقافة التي أزالت الحواجز بين الشعوب وأثبت عدم فاعلية وسائل المنع أو مقص الرقيب، وإن عالمية الثقافة تطرح بظلال قاتمة على الواقع الحضاري للدول الفقيرة، إذ أن عالمية الثقافة تزيد من الانتشار المعلوماتي للدول الغنية مالكة التكنولوجيا [٢].

وإزاء العديد من وجهات النظر المتفائلة والمتشائمة بشأن ما يترتب على ظهور تكنولوجيا جديدة أو حتى بشأن دور الاتصال الجماهيري في المجتمعات البشرية عامة يمكن التمييز بين اتجاهين أو وجهتي نظر يستندان إلى بعد أيديولوجي أولهما يرى أن الثقافة عالمية، والآخر يؤكد على محلية الثقافة، وعلى الرغم من الترابط بين الثقافات فإن الرؤيتين متباعدتين إلى حد بعيد فالاتجاه الأول يلغي فكرة الحواجز الثقافية، فالثقافة من وجهة النظر هذه عبارة عن مخزون جماعي للمعرفة العامة المتداولة بين الشعوب، ولذلك كان التركيز على إلغاء الحواجز بين الثقافات ومن المتوقع أن يكون أنصار هذا الاتجاه من المدافعين عن ضرورة نقل التجارب الغربية إلى الدول الأخرى وهي رؤية تقترب من الرؤية الاقتصادية في التنمية، التي تعرف في علم الاجتماع بنظرية التحديث، التي تؤكد أن الثقافات التقليدية هي العقبة الأساسية في تنمية المجتمعات المختلفة وتحديثها وبالتالي فإن الخروج من هذا المأزق يتطلب تغيير الثقافات التقليدية بمحاكاة النمط الحديث وتبني القيم الغربية وهذا ما يعرف بالاحتكاك الثقافي، أما **الاتجاه الثاني**: فيرى في الثقافات الأخرى خطراً على ثقافة المجتمع المحلي على أساس أنها تلغي الهوية والتراث، نظراً لعدم التكافؤ وبالتالي إتاحة الفرصة للغزو الثقافي والارتباط بالثقافات الأخرى التي لا تتلاءم معها ومن هنا تأتي فكرة تبعية الثقافات الدنيا للثقافات الكبرى وتنطلق هذه الرؤية من نظرية التبعية التي تؤكد أن التقدم والتخلف وجهان لعملة واحدة ومن ثم فالاحتكاك أو بالأحرى التغلغل الثقافي يؤدي إلى تهميش أبنية المجتمعات الأضعف [٣].

وإن التطورات في تكنولوجيا الاتصال قد جددت الحديث عن قضية الحفاظ على الهوية الثقافية والدفاع عن الذاتية الوطنية والقومية في مواجهة ما يسمى بالغزو

---

(١)ألفت الأغا. **البث المباشر والهوية الثقافية**، تجربة الآسيان، الدراسات الإعلامية.ع ٧٩ (القاهرة: المركز العلمي للدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والبيئة، ١٩٩٥) ص ٢٦.

(٢) عبد الرازق الدليمي. **الإعلام والعولمة**. ط١ (عمان: مكتبة الرائد، ٢٠٠٤) ص١٧.

(٣) أحمد حجازي. **التغريب الثقافي وسوسيولوجيا الاتصال**.مجلة القاهرة. ع ١١٦ (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٢) ص٦٠.

الثقافي والهيمنة الإعلامية التي تحاولها الدول الكبرى والاحتكارات الضخمة بالاستخدام الأوسع والأكفأ للمعلومات لتكنولوجيا الاتصال وبقدراتها المالية والفنية غير المحدودة وغير القابلة للمنافسة [١].

ولقد آثار الجيل الحالي من الأقمار الصناعية المعروف بأقمار البث التليفزيوني المباشر مخاوف سياسية وثقافية ودينية وحضارية بحكم ما سوف يحمله من مواد تليفزيونية تصل إلى البيوت دون مرور بأي عنصر اختيار أو تحكم أو حذف [٢].

تكنولوجيا الاتصال وآليات اختراق الهوية الثقافية العربية:

جسدت تكنولوجيا الاتصال أو الموجة الثالثة على حد تعبير (الفين توفلر Alfen Tofler) احتياجات الإنسان المعاصر، الذي يرتبط بنظام اقتصادي واجتماعي وثقافي جديد، وأن النظام الإعلامي العالمي الجديد ينتج حسب الطلب، منوعاً صور منتجاته مرسلاً عروضاً وأفكاراً ورموزاً مختلفة لشرائح سكانية معينة ولفئات عمرية ومهنية ولمجموعات عرقية أو اجتماعية مستهدفة، ويعد هذا التنوع الجديد والمتطور للإعلام تكتيكا ومضموناً، أمراً ضرورياً [٣].

والهوية الثقافية العربية شأنها شأن بقية الهويات في كثير من دول العالم الثالث، لم تسلم من مخاطر هذه التكنولوجيا الإعلامية المتقدمة، ولقد أصبح التوجه الجديد في المجال السياسي والتكنولوجي للعالم الثالث مجهزاً للولايات المتحدة لتستفيد من أدواته الهائلة، واستطاعت أن تسلط الأضواء على نماذجها وأيديولوجياتها الثقافية والاقتصادية ومؤسساتها الاجتماعية والسياسية وتستغله في التجارة الدولية، وأصبحت ثقافة الشعب الأمريكي واتجاهاته هي المسيطر من خلال الفيلم السينمائي والمواد التلفزيونية والاتصالات الالكترونية[٤].

كما أن اختراق الهوية الثقافية العربية قد تتم بوسائل متعددة ومنذ زمن طويل، لكن انتشرت هذه العملية في الآونة الأخيرة، ولاسيما بعد تطور تكنولوجيا البث التليفزيوني المباشر، وقدرة الولايات المتحدة من خلال إمكانياتها التكنولوجية

---

(١) صلاح الدين حافظ. **حق المعلومات وحرية الرأي** (افتتاحية العدد) **في:** الدراسات الإعلامية،ع ٧٤ (القاهرة: المركز العربي للدراسات الإعلامية، ١٩٩٤) ص١١.

(٢) محمود علم الدين، **تكنولوجيا الاتصال في الوطن العربي**. مجلة القاهرة، ع١١٦. ص٧١.

(٣) الفين توفلر. **تحول السلطة. ترجمة**: لبنى الريدي. ج٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت) ص١٤٤ – ١٤٥.

(4) Deborah Wheeler, **New communication technologies, human rights**، development and the defense ofmiddle eastern cultural space، wrl.ulexas. edu/'monitors'/l.l/wheeler/onedocwheeler.htm/

والاقتصادية والسياسية على التأثير في نشر ثقافتها وطمس بقية الثقافات العالمية، حتى بدت بوادر أزمة في الهوية الثقافية في دول أوروبا الغربية نفسها، و بدأت مشاكل الأقليات الأجنبية تظهر في كثير من دول العالم وأخذت بعض الدول الأوروبية مثل فرنسا تجاهر بالقول بضرورة تمييز الثقافة الفرنسية عن الثقافة الأمريكية وتبدي تخوفها من الغزو الثقافي الأمريكي، إذن عملية اختراق الهوية الثقافية العربية ليست وليدة ساعة وغير مقصورة عليها، علاوة على ذلك ساعد البث التليفزيوني المباشر إلى حد كبير في إتمام عملية الاختراق [١].

وهناك خطر آخر اكتسب أبعاداً كبيرة، هو السيطرة الثقافية التي تتخذ شكل الاعتماد على نماذج مستوردة، تعكس قيماً وأساليب حياة غريبة، وتتعرض الذاتية الثقافية للخطر من جراء التأثير الطاغي للأمم القوية على بعض الثقافات القومية واستيعابها رغم أن الأمم صاحبة هذه الثقافات الأخيرة هي وريثة ثقافات أقدم عهداً وأكثر ثراءاً، بحيث أن التنوع والتباين هما من أهم خصائص الثقافة وأقيمها فإن العالم بأسره هو الخاسر من جراء هذا [٢].

وفي ظل هذا التوجه الأمريكي بشأن استغلال تكنولوجيا الإعلام المتقدمة في فرض توجه ثقافي معين على بقية شعوب العالم، تباينت الآراء بشأن ما يسمى " بالعولمة الثقافية " إذ انبرى بعض الباحثين للدفاع عنها، بينما دافع آخرون عن ضرورة وجود هوية ثقافية تميز كل مجتمع عن الآخر[٣].

ومن بين العديد من القضايا الاقتصادية والقانونية والاجتماعية والثقافية التي تناولتها المناقشات الدائرة حول عالمية وسائل الإعلام ثمة موضوعان يفوقان غيرهما في الأهمية: يدور الأول حول موضوع الهوية الثقافية، والثاني يتعلق بالتأكيد على المحلية في الإعلام في مقابل ظاهرة العالمية وهما موضوعان مرتبطان دون شك وربما ترجع أهميتها إلى أن دعاوى الحفاظ على الهوية قد تكون مبرراً لبعض النظم السياسية لفرض سيطرتها وزيادة هيمنتها على وسائل الإعلام، والتحكم فيها إضافة إلى أن قضية الهوية والذاتية الثقافية تثيرا أيضاً الحديث عن دعم نظم الإعلام اللامركزية (محلية وإقليمية) وتطويرها كمحاولة لإبراز تمشي نظام إعلامي معين مع قضايا العالمية [٤].

---

(١) طه نجم. **الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث** (الإسكندرية: دار المعرفة، ٢٠٠٥) ص٢٣٥.

(٢) تيسير أبو عرجة. **مرجع سابق**، ص١١٤.

(٣) عبد القادر الهيتي. **ثقافتنا والعولمة**، ندوة العولمة والخصوصية الثقافية، جامعة السلطان قابوس وجامعة الزيتونة التونسية (مسقط: بحث غير منشور، ١٩٩٩) ص٢-٣.

(٤)طارق أحمد. **الإعلام المحلي وقضايا المجتمع** (الإسكندرية: دار المعرفة، ٢٠٠٤) ص ١١٤.

وهنا تبرز قضية الآثار الثقافية المترتبة على التبعية لبلدان الغرب الرأسمالي، ولقد ناقش جلال أمين العديد من الآثار الثقافية التي تترتب على تبعية دول العالم الثالث لدول الغرب الرأسمالي، وذكر أنه تحت شعار تنمية هذه البلاد يتم الغزو لاقتصاديات بلدان العالم الثالث وثقافته وافترض أن القدرة على التمتع بالسلع والخدمات التي يبتدعها مجتمع معين – والتي تصور على أنها غاية التنمية وهدفها – وتقتضي أن يغير المجتمع قيمه وعاداته لتتفق مع قيم وعادات المجتمع الذي ابتدعها، ومن ثم فإن إخضاع المجتمع الفقير لاستهلاك سلع معينة قبل أن تتغير قيمه وتقاليده هو أقصر طريق لإجباره على ثقافته وقيمه الخاصة (١).

عولمة الإعلام والحفاظ على الثقافات الوطنية

في ظل العولمة التي تشهدها المجتمعات المعاصرة في كافة المجالات فقد أصبحت قوى العولمة تمارس دورا هاما في فصل الثقافة المشتركة عن المكان، وتشكل تحدياً أولياً للثقافات القومية، ولذلك على العالم العربي أن يتحرك نحو عولمة تتجه إلى اهتماماته الوطنية، وما يشجع هذا الاتجاه أن الصهيونية تسعى لتطوير آلياتها التنظيمية الدولية منذ بداية القرن العشرين فهي تبحث عن طريقة للسيطرة على قنوات الإعلام الدولية من أجل تثبيت مشروع الصهيونية الذي تتبناه، ولذلك يجب على العرب أن يتحركوا بشكل سريع لبناء وحدة إقليمية تستطيع أن تؤثر في الاقتصاد العالمي، فهذه البلدان في حاجة ماسة إلى ذلك، لأن عمليات العولمة مفروضة عليهم والوحدة العربية هي الإطار الأكثر صحة ليس بسبب تراثنا التاريخي والثقافي فقط (٢).

والتدفق المحكوم للمضامين الإعلامية والثقافية عبر الحدود الوطنية جعل الحكومة الوطنية بلا قوة وفتح الباب على مصراعيه لقوى الإمبريالية الثقافية، وفي هذا الصدد يدور الجدل حول الآثار الثقافية السلبية لقوى العولمة، والحاجة إلى تبني إجراءات جماعية تؤكد الحقوق الثقافية والسيادة الوطنية على المستوى الدولي (٣) .

---

(١)جلال أمين. **تنمية أم تبعية اقتصادية ثقافية** (القاهرة: مطبوعات القاهرة. ١٩٨٣) ص ٣٨ – ٣٩.

(2) www.arab-americans and globalization, Arabs, houda gammal abdula Nasser alhewar.com/hganasser.htm.1999,pp:2.

(3) Calabresse. A, (1999) "**communication and the end of sovereignty?** " Info: The journal of policy, Regulation. And Strategy for

(4)Telecommunications,1

والعولمة تمثل تهديداً للذاتية الثقافية للأمم والشعوب، والذاتية الثقافية ليس تراثاً جامداً ولا مجرد مجموعة من التقاليد، بل هي دينامية داخلية، وهي عملية إبداع مستمر للمجتمع بموارده الذاتية تغذيها التنوعات الداخلية القائمة بصورة واعية مقصودة، وتقبل الإسهامات الآتية من الخارج باستيعابها وبتحويلها عند الحاجة [١].

والهجوم الثقافي على المحيط العربي كان أولاً باتجاه الموروث الثقافي العربي عبر استهداف القاعدتين المرجعتين الأساسيتين في تشكيل خلفية الثقافة والمثقف العربي، وهما مرجعية الفكر الإسلامي ومرجعية الثقافة المحلية والقومية، وتفاعلاتهما وأطروحاتهما الإيديولوجية وثانياً نحو المثقف ذاته وفي إطار تعطيل دور النخب الثقافية في بناء ثقافة عربية مستقلة وتسويق فكرة عزل المثقف عن السياسة، وإبقائه في صومعة البحث والتأليف، وانكفائه عن الارتباط بالقضايا الرئيسية في حياة شعبه وإفراغ مفهوم الثقافة، من كونها ناتجاً إنسانياً إبداعياً إلى ناتج مبسط مفرغ من محتواه المعزز المدعم بالقيم، وبالتالي إشغال المثقف بوظيفة الثقافة وليس بمضمونها وأهدافها (٢).

ومع أن كلمة العولمة أصبحت تكرر في كل اللقاءات العربية على كل المستويات ومعها الإعلان عن خطط وأفكار لمواجهة مخاطر العولمة على الهوية والثقافة العربية، إلا أنه لم يظهر وجود مشروع واحد يدل على الرغبة أو القدرة على مواجهة مخاطر العولمة، فإن مظاهر التبعية الإعلامية تزداد في الإعلام العربي عموماً، وتجد أن الحضور الغالب في وسائل الإعلام العربية للثقافة الأمريكية وأن النظام العالمي الجديد في السياسة القائم على هيمنة القطب الواحد، هو ذاته النظام الاقتصادي العالمي الجديد، والنظام الإعلامي العالمي الجديد وكلها وجوه لحقيقة واحدة وفي الوقت نفسه فان التباكي مستمر على انهيار نظام القيم والأخلاق العربية ضعف الثقافة العربية وتراجع اللغة العربية، والشكوى من انتشار الولاءات خارج الأوطان العربية وتقليد الأجيال الجديدة من الشباب للسلوك وأسلوب الحياة والتفكير الأمريكي وانتشار العنف على الطريقة الأمريكية التي تؤمن بأن القوة هي الوسيلة الوحيدة لحل النزاعات على أي مستوى بين الأفراد أو بين الجماعات وأن كل فرد عليه أن يكون مستعداً لحماية نفسه وفرض إرادته على الجميع [٣].

وعولمة الإعلام تتيح للعرب منفذاً ولو محدوداً للاستفادة، وربما المشاركة في ثورة تكنولوجيا الاتصال والإعلام والمعلوماتية، كذلك فإن كثرة وتعدد وسائل

---

(١)سعيد نجيده. **العولمة وحرية الإعلام** (القاهرة: ظافر، ٢٠٠٢) ص١٥٨.

(٢) صباح ياسين. **الإعلام والنسق القيمي وهيمنة القوة**. ط١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦) ص٦٠.

(٣)محمد مهنا. **مرجع سابق**، ص ٤٥١.

الإعلام ونفاذها عبر الحدود السياسية للدول، وتوافر تطبيقات الوسائط المتعددة (Multi Media) قد يقلل من قدرة الإعلام المحلي على إخفاء الحقائق والهيمنة السياسية وتزيف وعي مواطنيه، كما أن انتشار تكنولوجيا الاتصال قد يدعم من التنوع الثقافي داخل الثقافة العربية، حيث سيتيح فرصاً أفضل لكل الجماعات والثقافات الفرعية في إطار الأمة العربية ضمن الالتزام بالهوية الثقافية (١).

والغزو الثقافي الإعلامي ظاهرة العصر لما له القدرة على التأثير لا سيما أنه يخضع لدراسات علمية وميدانية تحدد أسرع الطرق وأقواها للتأثير وإن كانت هذه الدراسات تتخذ مظهراً علمياً إلا أنها تهدف في أغلب الأحيان إلى بحث أفضل الطرق لتزييف عقل الإنسان في اتجاهات مرسومة وتسير عملية التزييف في طريقين (٢): الأول تجاري هدفه ترويج السلع بأنواعها مما نشط شركات الإعلام والثاني سياسي حيث تسيطر النظم الحاكمة على الإعلام وتوجهه لخدمة أهدافها وإن تنافت مع مقومات الطريق السليم.

ولا شك أن التدفق الذي يصل في كثير من الأحيان إلى ٦٠% ويزيد ويؤثر على الذاتية الثقافية ويختلف في المضمون من خلال عرض مضمون مختلف عن المضمون المحلي ويعكس قيما تختلف عن القيم القومية ويتيح لأنماط الثقافة الأخرى على حسب الثقافة القومية وتنبهت الدول النامية لهذه الحقيقة تجاه عقد المؤتمرات بحثاً عن نظام إعلامي جديد وآخر يصوغ عملية التبادل المنظم في البرامج وفي هذا أكدت اليونسكو على تأكيد الذاتية الثقافية على أنه عامل مهم على حد سواء فهي عامل تحرير للأمم في المقام الأول ومن ثم تبدو مبرر للحركات الاستقلالية ومقاومة الاستعمار (٣).

ويتأثر التراث بالعولمة كما هو الحال في المجال السياسي والاقتصادي منذ فترة مما يتطلب اتخاذ إجراءات وسياسات وطنية واضحة لمواجهة المشاريع التي تقوم على التغيير في الإستراتيجية المحلية إلى العولمة في مجال التراث، الذي يعد الوسيلة الأساسية التي يمكن من خلالها تحقيق البناء الوطني في ظل مزاحمة ومنافسة العولمة (٤).

---

(١)أسعد ملي. **مسألة الهوية في عصر العولمة الإعلامية**. **في كتاب:** الدكتورة حكمت أبو زيد من القرية إلى الوزارة: دراسات في علم الاجتماع عن العالم العربي. **تحرير:** علي المكاوي (جامعة القاهرة: كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ٢٠٠٨) ص٢١٥.

(٢) فؤاد زكريا. **التفكير العلمي**. ع٣ (الكويت: عالم المعرفة، ١٩٧٨) ص١١٢.

(٣) سهير بركات. **مرجع سابق**، ص٩٠.

(4)AL-Sayyad, Nezar (2001) global norms and urban forms in the age of tourism: manufacturing heritage, consuming tradition. **in consuming**

الحفاظ على الهوية الثقافية العربية

ويتطلب الحفاظ على الهوية الثقافية العربية ضرورة إنشاء مراكز للدراسات والوثائق وجمع الموروث الشفوي أو المخطوطات القديمة وإنشاء المكتبات ومراكز القراءة ودور الثقافة وقاعات العروض الموسيقية والمسرحية وتنمية صناعة الكتاب ونشره، وتعزيز الصناعات السينمائية والتوسع في نشر المطبوعات، وأخيراً إنشاء مؤسسات أو صناديق خاصة من أجل تمويل الفنون والبحوث. كما أن حماية الهوية الثقافية أو ممارستها في عصر المعلومات أصبحت أمراً صعباً للغاية، ولا سيما في ظل تدفق البيانات والمعلومات، التي أصبحت تنفذ الحدود [١].

ولمواجهة الاكتساح الإعلامي العولمي يجب تنمية الحس الجمالي الصائب من خلال التأكيد على خصوصية الروح القومية وميراثها المتطاول في الآداب والفنون والعمارة والتشكيل والموسيقى والغناء والشعر والأدب وغيرها، وإبراز الجوانب المشعة في هذه المسيرة [٢].

والثقافة الحية والمتجددة المقرونة بالفكر الناضج الواعي تعد هي العامل الرئيسي والأساس والمنهج المتكامل لعلاج وحل ما يواجه المجتمع الإنساني من مشكلات متعددة ومتراكمة عبر تاريخه الطويل، فإذا كانت الثقافة ضرورية في الحالة الوظيفية الطبيعية لسير حركة المجتمع واستقراره وثباته النسبي، فإنها دون أدنى شك تكون بالغة الضرورة والأهمية في مراحل التطور والانطلاق والتغير المقصود التي يمر بها المجتمع [٣].

وقد أكد معظم الباحثين أهمية الثقافة وفاعليتها في المجتمع، وضرورة الاهتمام بالقيم والعادات التي تساعد على تنمية المجتمع وإهمال القيم السلبية، وأكدوا أيضاً أن كل هذا يتم من خلال عامل واحد هو الإعلام ووسائله المختلفة، فالثقافة والإنتاج المادي وجهان مختلفان لعملة واحدة أي أن الثقافة هي عبارة عن الجزء النظري الذي يمد الإنتاج بالقوانين والنظريات والأفكار وهناك رأيان في الدور الثقافي لوسائل الاتصال الجماهيرية، أولهما يرى أن هذه الوسائل هبطت بمستوى الإنتاج الثقافي

---

tradition, manufacturing heritage: global norms and urban forms in the age of tourism NewYork: Routledge, pp, 1-33.

(١)سعيد سلمان. **مرجع سابق**، ص ٢٧.

(٢) ماجد يوسف. **العولمة والإعلام والثقافة في العالم الثالث. في:** مجلة الفن الإذاعي. ع ١٨٠ (القاهرة: اتحاد الإذاعة والتليفزيون، أكتوبر ٢٠٠٥) ص١١٧.

(٣) محمد إبراهيم. **الثقافة والشخصية** (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٩) ص ١٨٣-١٨٤.

والأعمال الفنية والفكرية التي يحتاج إليها المجتمع وثانيهما يرى أن هذه الوسائل قدمت خدمات جليلة في مجال نشر الثقافات وترويج الأعمال الفنية التي ما كانت لتصل إلى ما وصلت إليه من الذيوع والانتشار لو لم تقدم من خلال وسائل الإعلام [١].

ولتحديد هويتنا الثقافية تحديداً دقيقاً، يجب التركيز على إبراز تراثنا والتحقق فيه لنشل أعمال الفنانين والمهندسين المعماريين والموسيقين والكتاب والعلماء، وانتشال الأعمال المادية وغير المادية المعبرة عن قدرات أجدادنا الإبداعية مثل اللغات بما فيها من ترجمة وتفسير وآداب ومثل الآثار التاريخية التي تركوها في مختلف المجالات، ويجب أن نقتنع بأن الذاتية الثقافية والواضحة والمتميزة هي المنطلق الأساسي للعطاء الثقافي والمشاركة الايجابية والتعاون البناء المستمر، علماً بأن تحديد هذه الهوية سيسهل علينا عملية الممارسة الكاملة للسيادة على وطننا ويدفعنا لرفض العزلة والتسلط الاستعماري، ولتحقيق هذا الهدف هناك عدة اعتبارات أساسية يجب مراعاتها هي (٢):

- رعاية المفكرين والمبدعين وتأكيد مكانتهم في المجتمع وتذليل ما يعوقهم من مصاعب.
- تعاون أجهزة الثقافة والتعليم والإعلام والتقنية في الدول العربية لدراسة هذه الهوية وإخراجها إلى حيز الوجود.
- توفير الأمن الثقافي الدائم من خلال إيجاد حالة من الاكتفاء الذاتي عن طريق إيجاد مراكز البحث ومصادر الدراسات ووسائل النشر وتوفير مصادر التمويل الخاصة بمشروعات التنمية الثقافية وتوضيح الهوية الثقافية.

ويشهد استقراء التاريخ بأن الأمم التي تشرع في النهوض من كبوتها تبدأ أولا بإحياء تراثها وتراث الحضارات المتصلة بها، هكذا فعل العرب في عصر النهضة الإسلامية وهكذا فعل الغربيين في عصر النهضة الأوروبية، حتى في عصرنا الحاضر تحرص جامعات الدول المتقدمة على تدريس تاريخ العلوم وفلسفتها وتضم العديد من المستشرقين والمؤرخين لما عرفنا شيئا عن إسهام أسلافنا في تقدم العلوم الطبيعية الأساسية من كيمياء وفيزياء ونبات وحيوان وفلك وتطبيقاتها في الهندسة والطب والزراعة والتعدين وغيرها [٣].

والحفاظ على الذاتية الثقافية عملية تتيح للمجتمع أن يتغير ويتطور دون أن يفقد هويته الأصلية وأن يتقبل التغيير دون أن يغترب فيه، إنه التفاعل بين الأصالة والتجديد، وتأكيد الذاتية الثقافية لا ينفصل عن القيم المرتبطة بالتراث وإحيائه على أن

---

(١) علي عجوة. **مرجع سابق**،ص١٥٧.
(٢)سعيد سلمان. **مرجع سابق**، ص ٢٤ – ٢٧.
(٣) عبد الحكيم بدران. **مرجع سابق**،ص١٩٠.

يكون هذا العمل مرتبطاً بالفعل الإبداعي ومنطلقاً للثقافة الحية ومنبعاً لتجديد مستمر لإبداعية تتغذى من كل أشكال الثقافة الذاتية الموروثة ولقد حاولت بعض الدول إقامة استراتيجيات إعلامية تؤكد هويتها الثقافية وسنغافورة على سبيل المثال: تقود تياراً يؤكد أهمية وجود منظور آسيوي في الساحة العالمية ويرتكز على القيم الآسيوية في وسائل الإعلام [١].

ويناط بالإعلام العربي أيضاً حماية خصوصية الثقافة العربية في ظل جهود تنميط الثقافة العالمية في عصر العولمة، من خلال التأكيد على إيجابيات الثقافة العربية، والثوابت القوية التي تعتمد عليها، ودورها في حماية التراث والحضارة العربية، ودورها في استقرار القيم التي تحمي الشباب العربي من الانبهار بالقيم الشكلية والمادية التي تروج لها الثقافات الوافدة [٢].

وقد حاول الكاتب الإيراني المعاصر بهرام بيضائي أن يتواصل مع التراث وأن يعبر عن قضايا مجتمعه وموقفه منها، وقد شغلته قضية العدالة والحرية بصفة خاصة وحرص أن يظهر أهمية العلم بصفة عامة وعدد فوائده في ثنايا قصة كتبها على لسان الشخصية الأساسية وهي شخصية الملك جمشيد الذي بث على لسانها الكثير من الخصال التي يجب أن يتميز بها الحاكم العادل، كالاهتمام بأحوال الرعية وتخفيف آلامهم وحل مشكلاتهم[٣].

وإن تأكيد الذاتية الثقافية لكل شعب من الشعوب سواء كان يتمتع بالسيادة أم لا سواء كان من الدول الكبرى أو غيرها أو لديه فائض من المواد والإمكانيات أو ما يزال نامياً هو مطلب حتمي على أساس من المساواة والعدالة والكرامة ولأن الذاتية هي تحقيق الشخصية المتكاملة والقادرة على العطاء والتفاعل مع الثقافات الأخرى، وإذا كانت الثقافة كحقيقة سلوكية تنبع من مدركات ذاتية جماعية،تترسب فيها الخبرة التاريخية والقيم الدينية والوجدان الجماعي في إطار واحد ومتكامل[٤].

وخطاب الهوية يتفاوت في خصوصياته من موقع لآخر، فللعرب خصوصياتهم التي يبرزونها أما الآخر الغربي.. وللغرب القديم (أوروبا) خصوصياته أما الغرب الحديث (أمريكا) يخشى على هويته من الأمركة، وداخل

---

(١)الفت أغا. **البث المباشر والهوية الثقافة**. دراسات إعلامية، ابريل – يونيو ١٩٩٥، ص١٠.

(٢) عادل عبد الغفار. **الإعلام العربي في مواجهة قيم العولمة**. رؤية مستقبلية. **في:** مجلة الفن الإذاعي. ع ١٨٧ (القاهرة: اتحاد الإذاعة والتليفزيون، يوليو ٢٠٠٧) ص٣٩.

(٣)فاطمة نبهان. **ثقافة التواصل مع التراث: بهرام بيضائي نموذجاً، حرره:** عفت الشرقاوي. ثقافة التواصل في عصر العولمةرؤية عربية. ط١ (القاهرة: دار العلوم، ٢٠٠٨) ص٢٤٩.

(٤) سعيد لبيب. **مرجع سابق**، ص٤٠٣.

الغرب القديم نفسه هناك خصوصيات، فالفرنسيون أغلبهم يخشون على هويتهم من الهوية الأوروبية [١].

و تبرز أمامنا شروط المواجهة الفعالة للغزو والاختراق الثقافي ويتصدرها ضرورة الاستفادة من الجوانب للتراث في إطار الدراسة النقدية للتاريخ الثقافي للوطن العربي وتوظيف هذه الجوانب في إطار مشروع حضاري يستند إلى بنى اقتصادية واجتماعية مناهضة تماما للبنى التقليدية السائدة حالياً ولا يتحقق ذلك إلا بنشر العقلانية كإطار فكري وكأسلوب للعمل والعلاقات السياسية بين الحكام والشعوب والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد وبين الدول العربية على المستوى القومي ثم مع العالم الخارجي على المستوى العالمي[٢]، وإن الهوية العربية المهددة من الآخر في وجودها الجغرافي والثقافي والنفسي ويتجسد الآخر لدى هذه الهوية بعدد من التحديات [٣]:

التحدي الماثل لإسرائيل واحتلالها لأراضٍ فلسطينية وعربية، ومجابهتها المسلحة لشعب أعزل وتهديدها الدائم للمحيط العربي، وثانيها التحدي السياسي والاقتصادي والعسكري الذي فرضته قوى الغرب المهيمنة على العالم منذ الحرب العالمية الأولى، وثالثها التحدي الثقافي الحضاري الذي تفرضه اليوم عوامل نزع هويات مجتمعات الجنوب وإلحاقها بمعايير كونية في شكلها وأمريكية في جوهرها.

ويبقى البعد الأكثر ضراوة في المواجهة الثقافية ويعنى به التحدي الاستيطاني الصهيوني وتهديده المستمر للوجود والعقل العربي من خلال الترويج لما يسمى ب " ثقافة التطبيع " وقد عني العمل القومي العربي بمواجهة خطر التطبيع الثقافي الصهيوني عقب بدء التطبيع الرسمي بين مصر وإسرائيل وتمثل ذلك في عدة مؤتمرات أبرزها مؤتمر دمشق (يونيو١٩٩٨) الذي شاركت فيه وفود (١٦دولة عربية) عدا الجامعة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وقد أصدر المؤتمر [٣١] توصية لمواجهة الغزو الثقافي الصهيوني باعتباره جزءاً من مخطط إمبريالي صهيوني معادٍ للأمة العربية ولحركة الثورة العربية، وأوصى المؤتمر بضرورة تقديم كافة أشكال المساندة والدعم للهيئات الثقافية والنقابات والشخصيات الثقافية المصرية التي تنتهج خطاً وطنياً معادياً للصهيونية وأكد على ضرورة تشجيع ونشر وتوزيع نتائج العلماء والكتاب والمثقفين المصريين المؤكد لعروبة

---

(١) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. **أعمال المؤتمر الدولي السادس** (البحرين: مركز الدراسات العربي الأوروبي، ١٩٩٨) ص٧٤.

(٢) عواطف عبد الرحمن. ١٩٩٧. **مرجع سابق**، ص٤٨.

(٣) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. **مرجع سابق**، ص٧٥.

مصـر المتعلـق بمقاومـة الغـزو الثقـافي الصـهيوني، كمـا أوصـى المـؤتمر بـدعم المؤسسـات الثقافيـة والعلميـة الفلسـطينية داخـل وخـارج الأرض المحتلـة واتخـاذ الإجـراءات العلميـة الكفيلـة بحمايـة التـراث الشـعبي الفلسـطيني والآثـار الفلسـطينية وخاصة بمدينة القدس ولدعم مؤسسات النشر الوطنية في فلسطين المحتلة ولقد بدأت تتبلور وتتصاعد المبادرات الشعبية لمواجهة التطبيع في مصر وفي مناطق متعددة من الوطن العربي، وكانت أبرز آليات العمل الشعبي لكشف المخطط الإسرائيلي للتطبيع واستجابات النظم العربية، وقد خاض المثقفون العرب المواجهة على عدة جبهات أهمها مواجهة فكرة التطبيع والتصدي لمحاولات ترويج ما يسمى" بثقافة التطبيع " [١].

وينبغـي علـى القـائمين علـى الإعـلام الإسـلامي ضـرورة وضـع الخطـط المدروسة لإنتاج البرامج التي تجذب الأجيال الجديدة وتوجيههم التوجيه السليم، ولا تحرمهم في الوقت نفسه من الاستمتاع بالفنون الراقية في كافة المجالات وأن تتميز هذه البرامج بالتنوع والمصداقية، وهذا يقتضي إعطاء أهمية كبيرة لتدريب الكوادر الإعلامية والفنية لتواكب معلومات وأساليب أحدث ما في العصر من وسائل الجذب والإبهار والسعي إلى امتلاك وإنشاء الشبكات الخاصة بالعالم العربي والإسلامي وإمدادها بهذه الكوادر المدربة لتستطيع المنافسة بين الشبكات العالمية، وبما يلاءم عـادات وتقاليـد الإسـلام الحنيـف وفـي نفس الوقـت التعـرف علـى مجـالات المعرفـة الثقافية العالمية التي تعرض عبر الأقمار الصناعية[٢].

مكانة الهوية العربية في العالم العربي

سؤال تجيب عليه طبيعة الإعلام العربي ومعالمه، فهو إعلام عاجز عن أن يرسخ بشكل مقنع القيم التي تؤكد وحدة الثقافة وتلاحم المجتمع وقوة المثل والأبعاد التاريخية المشتركة للمنطقة، هذا على الرغم من أن قضايا الهوية تطرح نفسها يومياً وبإلحاح في المنطقة من خلال المواجهات مع الآخر المتمثلة في مخلفات عقود الاستعمار الماضية ووجود إسرائيل ومظاهر التخلف في الحاضر وتحديات العولمة ومحاولات طمس الهويات بشكل سافر بكل الوسائل.

ومما يزيد الأمر تعقيداً أن قضايا الهوية في المنطقة تتضمن أبعاداً وانتماءات متعددة ومتداخلة وهذا الجانب يمكن أن يكون عنصر قوة لو كانت المنطقة في حالة نهـوض وتطـور كمـا يمكـن أن يكـون مصـدر ارتبـاك وتشـويش فـي حالـة الضـعف

---

(١) عواطف عبد الرحمن. ١٩٩٧. **مرجع سابق**، ص٤٨-٤٩.
(٢)محمد مهنا. **مرجع سابق**، ص ٢٩٣.

والتراجع، ومما يؤسف له أن التيار السائد في الإعلام العربي اليوم هو تيار الاستسلام للإعلام الغربي، واستهلاك منتجاته يتم ذلك عن وعي أو عدم وعي على حساب قضية أساسية هي الحفاظ على الأصالة وبناء الذاتية والعمل على المساهمة في التنمية الوطنية بشكل مدروس وفعال، وقضية الهوية التي تبرز على السطح أكثر من أي وقت مضى بسبب التحديات التي تواجهها الذات العربية، وقد تعود هذه الهوية إلى سكينتها عندما تهدأ التحديات بشكل يبعد مخاطرها، وتبقى القضية المركزية لهذه الهوية هي الحفاظ على الذات ماثلة في الواقع الثقافي العربي وتجسد تطلعات الأمة [١].

الإعلام والهوية الثقافية العربية

وتتمثل قوة وقدرة الإعلام وأجهزته على الوصول إلى مختلف فئات المجتمع وفي القدرة على احتلال مساحات واسعة من وقت الإنسان المستهدف بالرسائل الإعلامية وفي القدرة على تشكيل الرأي العام والإسهام الفعلي في تكوينه من خلال الإلحاح على الفكرة وتكرارها وتقديمها بوسائل وأساليب قادرة على غرس الفكرة وتثبيتها، وهي القدرة الإقناعية التي توظف من أجلها إمكانيات تقنية كبيرة في الصوت والصورة والحركة خاصة بالنسبة للإذاعة المسموعة والمرئية وفي القدرة على مخاطبة الفئات العمرية وخاصة الناشئة الذين تستطيع الوسائل الإعلامية التأثير فيهم [٢].

وحيث أننا نبحث عن دور الثقافة العربية في الإعلام العربي، فلن يصيبنا الدهشة عند اكتشاف تأثر ثقافتنا وإعلامنا على حد سواء بالاختراق الثقافي والإعلامي الغربي لمنطقتنا العربية حيث يمارس هذا الاختراق دوره المهدد لهويتنا، ووسيلته في ذلك هي السيطرة على الإدراك وهي الصورة السمعية والبصرية التي تسعى إلى " تسطيح الوعي " وجعله مرتبط بما يجري على السطح من صور ومشاهد ذات طابع إعلامي إشهاري مثير للإدراك وانطلاقاً منها ويتم إخضاع النفوس وتعطيل فاعلية العقل وتكييف المنطق والتشويش على نظام القيم، وتوجيه الخيال، وتنميط الذوق وقولبة السلوك والهدف تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع تشكل في مجموعها ما يمكن أن نطلق علي " ثقافة الاختراق " [٣].

---

(١) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. **مرجع سابق**، ص٧٥.
(٢) تيسير أبو عرجة. **مرجع سابق**، ص٤٥.
(٣) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل . **مرجع سابق**، ص٧٦.

ويناط بالإعلام العربي حماية خصوصية الثقافة العربية في ظل جهود تنميط الثقافة العالمية في عصر العولمة، من خلال التأكيد على إيجابيات الثقافة العربية، والثوابت القوية التي تعتمد عليها ودورها في حماية التراث والحضارة العربية، ودورها في استقرار القيم التي تحمي الشباب العربي من الانبهار بالقيم الشكلية والمادية التي تروج لها الثقافات الوافدة(١).

وإن الإعلام مطالب بالجدية فيما يطرحه من القضايا وما يقدمه من البرامج التي تساهم في إثراء الواقع الثقافي، وتناقش المسائل الحيوية بطريقة تجعل الإنسان عضواً أساسياً في المجتمع قائماً بدوره ومسؤولياته بعيداً عن الاهتزاز والضعف والتقوقع، وبتشجيع الإبداع والإشادة به وتوفير المناخات اللازمة لنمائه وتطويره، لأن في ذلك طريق الاعتزاز بالقدرات الذاتية وعدم الاعتماد على الغير والاعتزاز بطاقات المجتمع والثقة بالنفس ورفع الروح المعنوية اللازمة وكذلك الحرص على مواكبة ثورة المعلومات التي يشهدها عصرنا الحاضر، لأننا لا نستطيع أن نكون وجهة نظر خاصة أو نعلن رأياً أو نؤكد موقفاً معيناً دون الحصول على كم المعلومات المناسبة للإنسان عبر وسائل الاتصال نفسها.

والإعلام مطالب بتشجيع النتاجات المحلية والعربية التي تتفق مع ما ندعو إليه في أدبياتنا من أننا ننطلق من أسس ثابتة لشخصية عربية إسلامية ذات مقومات ثقافية معلومة، وذلك تخفيفاً من حدة النتاجات المستوردة التي مهما كان الضبط لمراقبتها إلا أنه يتسلل عبرها الكثير مما يخالف قيمنا وعاداتنا، وإذا كانت بعض الدول الكبرى تقول إنها تخشى على ثقافتها وشخصيتها الوطنية من خطر الإعلام الوافد عليها من دول أخرى وثقافات مغايرة، وذلك بعد أن تيسرت للإعلام أجهزة غاية في التطور والتعقيد، وأصبح بالإمكان التقاط البرامج بشكل مباشر من بلدان بعيدة بواسطة الأقمار الصناعية، فماذا تقول بلادنا العربية التي تعيش في داخلها هموماً ثقافية عديدة لعل بعضها يتمثل بضعف اللغة العربية وما تتعرض له هذه اللغة من إهمال وازدراء وتأثيرات سلبية وعدم الولاء لها من قبل فريق من المتعلمين، بالإضافة إلى التشجيع الذي تلاقيه اللهجات العامية المحلية سواء في الجامعات والمعاهد أو في وسائل الإعلام، علماً بأن هذه العاميات كانت دائماً ولايدة الشتات والتمزق بينما اللغة العربية الفصحى كانت وستظل أداة النهضة الثقافية للأمة العربية (٢).

إن هامش تناول الإعلام العربي لقضايا الهوية والثقافة محدودة جداً ويفتقر إلى التنسيق والتخطيط ولا ينتج مادة إعلامية أصيلة معبرة عن الواقع العربي المعاش

---

(١) عادل عبد الغفار. **الإعلام العربي في مواجهة قيم العولمة: رؤية مستقبلية. في**: مجلة الفن الإذاعي. ع١٨٧ (القاهرة: اتحاد الإذاعة والتليفزيون، يوليو ٢٠٠٧) ص٣٩.

(٢) تيسير أبو عرجة. **مرجع سابق**، ص٤٧.

وعـن تطلعـات العـرب الثقافيــة والاجتماعيــة السياسـية الاقتصــادية الإسـتراتيجية، ولاحظنا أن الفروق الشاسعة ما بين قدرات الإعلام الغربي لتلبية الاحتياجات التي تتطلبها الدول المتقدمة تقابلها محدودية قدرات الإعلام العربي على تنفيذ قدر معقول مـن الاسـتقلالية الإعلاميـة لتلبيـة الاحتياجـات المحليـة الوطنيـة الراميـة إلـى أحـداث التغيير الاجتماعي ليكون في خدمة التنمية الوطنية[١].

(١) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. **مرجع سابق**، ص٧٧.

المثقف العربي ودوره في المجال الإعلامي

إن المثقف العربي هو منتج ومستهلك لمضمون وسائل الإعلام، ومن هنا فان دوره ينجم عن هذا الواقع فهو يكتب لوسائل الإعلام ويقرا أو يسمع أو يشاهد ما تقدمه وسائل الإعلام وكلا الدورين يحتاجان منه إلى الالتزام بثوابت الثقافة، وتحتاج منه أن يعبر عن التحديات سواء فيها يكتب أو يعبر أو يبدع، ولكي يكون دوره في المجال الإعلامي فانه لا بد أن ينتهج **ما يلي** [1]**:**

١- **التفتح والحوار**: وذلك بأن يكون مستعدا لتلقي الآراء المختلفة سواء اتفق معها أو اختلف ومن ثم أن يكون قادرا أو قابلا لان يفتح الحوار حولها بصدر رحب.

٢- **النقد والنقد الذاتي**: على المثقف أن يمتلك القدرة والاستعداد لإبداء أرائه بصراحة وانتقاد ما يراه ضروريا من أجل مجابهة التحديات وعليه أيضا أن يمتلك الجرأة لممارسة النقد الذاتي وحينما يدرك أن مواقفه أو أفكاره لم تكن صائبة.

٣- **الشجاعة الأدبية والتعبير عن الرأي**: أن النقد والنقد الذاتي لا يمكن أن يتحقق إذا لم يمتلك المثقف الشجاعة الأدبية والقدرة على التعبير عن الرأي مع تحمل المسؤولية.

٤- **الموضوعية والأمانة العلمية**: إن من أهم مستلزمات التعبير أن يلتزم المثقف بالصدق والأمانة العلمية والقدرة على عرض جوانب القضية التي يطرحها لتجرد من المصالح الذاتية وبعيدا عن التحيز والهوى والالتزام بالحقيقة والموضوعية مهما كان ثمن ذلك الالتزام.

---

(١) صالح أبو أصبع. **مرجع سابق**، ص١٩٥.

دور وسائل الإعلام في تزييف الحقائق وتزييف الوعي

لوسائل الإعلام مهمات أساسية تتمثل في نقل ونشر الأفكار والمعلومات لأن بعض وسائل الإعلام في الوطن العربي تسيطر عليها الأنظمة أو تسيطر عليها فئات ذات مصالح مرتبطة بهذه الأنظمة فإن من مصالحها الحد من نشر المعلومات وتدولها ونشر الأفكار المختلفة والحوار حولها وتتستر في ذلك تحت شعار حماية الثقافة (الوطنية - القطرية) وضرورة الالتزام بالخصوصية الثقافية وحماية التعليم والتراث وغير ذلك من الشعارات وهذا الأسلوب يؤدي إلى أن يلعب الرقيب الخارجي والرقيب الذاتي الكاتب نفسه دورا أساسيا في وضع الخطوط الحمر التي لا يمكن تجاوزها عند الحديث عن القضايا الحية الأساسية التي تحدثنا عنها، ولذلك فان أي مراقب لوسائل الإعلام الجماهيري يمكن أن يلحظ الدور الترفيهي المتميز لهذه الوسائل ويلاحظ كذلك حجم ما يقدم من برامج أجنبية في التلفاز تؤدي بالمواطن إلى السلبية والانعزال والى خلق أنماط من السلوك الغربية في المجتمعات العربية وأن تقديم نماذج غربية تمثل التفوق الأسطوري وتخلق ثقافة الاغتراب والعزلة وتسهم إسهاماً كبيراً في صنع النمط الاستهلاكي كسلوك مهم عند الناس ولا شك أن هناك مجموعة من الأساليب التي تزيف بها وسائل الإعلام الحقيقية، وكما استوردنا معدات وسائل الاتصال الجماهيري فإننا استوردنا كذلك معها أنماط تزييفية للحقيقة [١].

تأثير البث التلفزيوني المباشر في الهوية الثقافية:

ظهر التأثير التراكمي للتلفزيون ومخرجاته على اختلاف أنواعها وقوالبها ومضامينها، مما أدى إلى تضاعف وظائف التلفزيون على المستوى الأفراد والمجتمعات والأنظمة وتنوع وعمق تأثيره على المشاهدين على مستوى المعرفة والاتجاهات والسلوك، وتعدد الوظائف المتعارف عليها من قبل (الإخبار والترفيه والتوجيه الإعلان) لتمتد وظائف التليفزيون ذك الجهاز الصغير الحجم الكبير التأثير وخاصة الفضائي والمتخصص منه ليشمل التأثير في تشكيل الأفكار وتوجيه وتكوين الاتجاهات وتشكيل السلوكيات واختيار نماذج القدوة وتحديد أولويات الاهتمام على مستوى القضايا والأحداث فضلاً عن نقل التراث الثقافي والاجتماعي عبر الأجيال وعبر الثقافات (٢).

---

(١) صالح أبو أصبع. **مرجع سابق**، ص١٩١-١٩٢.
(٢) منى الحديدي وشريف اللبان. **مرجع سابق**، ص٢١٣.

وقد أصبح التلفزيون متخطياً الحواجز الجغرافية، حيث أصبحت المحطة التلفزيونية الفضائية بكامل إرسالها في متناول المشاهد العادي بعد أن كان الأمر مقصوراً على نوعيات من الإنتاج تشتريها المحطات المحلية أو تهدي إليها أو تتبادلها، ومن ثم بدأت تأخذ ظاهرة البث التلفزيوني المباشر مكانة هامة بين الباحثين والمتخصصين، إذ يرى بعضهم أن تأثيره على المشاهد العربي قد يكون إيجابياً وسلبياً، فمن الآثار الإيجابية أنه يجدد الثقافة الوطنية الراكدة في بعض الأحيان بتطعيمها بنماذج وتطلعات عصرية جديدة تتعلق بالإبداع والأداء الرفيع والإيقاع السريع من تشجيع التبادل الحضاري ونشر التسامح الثقافي بين الأمم والشعوب، وكذلك يساهم في تطوير وسائل الاتصال المحلية وبخاصة التلفزيون، إذ تفرض عليها المنافسة مع القنوات العالمية ضرورة تحديث أساليبها، ومن إيجابيات البث المباشر أيضاً اختفاء فكرة السيادة الإعلامية التي كانت تتمسك بها الدول، الأمر الذي سوف يثير قلق الحكومات الاستبدادية والنظم العنصرية (١).

وما أسفرت عنه مجموعة البحوث الميدانية المقارنة التي أجراها اتحاد إذاعات الدول العربية حول الانعكاسات الثقافية والاجتماعية للبث الأجنبي المباشر، وأن المقارنة بين الإنتاج الوطني والإنتاج الغربي غالباً ما يكون لصالح الأخير، فهو مزود العينة بالمعلومات وهو مصدر إطلاعها على المكتسبات العلمية والتقنية وهو قبل كل شي إعلام جذاب، واضح، مؤثر يتمتع بمصداقية واضحة وهي صفة لا يحظى بها الإعلام الوطني العربي، لأنه إعلام بعيد عن المجتمع، ضعيف من حيث مضامينه وتقنياته ويعرض مضامين غير جذابة وغير مقنعة بحكم انعزاله عن الواقع، وإعلام غير متلائم مع احتياجات الشباب وتطلعاته ويفتقد شرط الإبداع والحرية، ولذلك تجمع العينة على تأثرها بالنماذج الحضارية الغربية ورغبتها في تغيير واقعها تأثراً بالنماذج الإعلامية الغربية (٢).

والبث التليفزيوني المباشر فيه من المظاهر الإيجابية التي لو استغلت الاستغلال الأمثل لنهضت الأمة واستعادت مكانتها ولحقت بالتقدم العلمي، وفي الوقت نفسه فيه من المظاهر السلبية والتي لو لم يتم مواجهتها بحزم لضاعت هوية الأمة وذابت ثقافتها بين الثقافات الوافدة علاوة على ذلك تبقى حقيقة هامة وهي أنه أصبح ضرورة تمليها ظروف العصر، إذ لا يستطيع الفرد أن يعيش في عزلة عن العالم لكن ما يجب أن نفعله تجاه هذا الخطر الداهم هو تصحيح الطريقة التي نعامله بها كما فعلت الصين واليابان وحافظتا على هويتهما الثقافية، بالإضافة إلى رسم سياسة إعلامية مشتركة تضع الخطط والمبادئ لمعاملة هذه الظاهرة، وإذا بدأت الأمة

---

(١) طه نجم. ٢٠٠٥. **مرجع سابق**، ص٢١.

(٢) عاطف العبد ونهى العبد. **المدخل إلى الإذاعة والتلفزيون**. ط١ (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٨) ص٣٩.

العربية مجتمعة في تنفيذ مثل هذه الإجراءات سوف تكون النتيجة عظيمة، لأن ما يميز هويتنا الثقافية أن لها جذوراً مستمدة قواعدها من الدين الإسلامي[١].

ومن ضمن سلبيات البث الفضائي العربي ابتعاد القنوات الفضائية العربية عن الهوية العربية الإسلامية وانغماسها في تقليد القنوات الغربية بما تقدمه من الكليبات المصورة والبرامج الواقعية التي تقدم نسخاً عربية شبيهة لبرامج الواقع الغربية والتي تثير جدلاً واسعاً من حيث تأثيرها على أخلاقيات الشباب العربي وقيمه الثقافية وبما يدعم مفهوم العولمة ويضعف الانتماء للحضارة العربية والإسلامية [٢].

وتشكيل العقول والتلاعب باتجاهات الرأي العام وتوجيه رغبات الناس بما يوافق مع سياسات أصحاب هذه المحطات ومصالحها في الدول الصناعية الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة، كما يستطيع البث المباشر إشاعة الميول الاستهلاكية والرغبة في التقليد والمباهاة، وأخيراً حقن الوجدان القومي بقيم ومعايير وسلوكيات قد لا تتفق مع الثقافة التقليدية، الأمر الذي يهدد النسيج الاجتماعي[٣].

والمجتمع العربي اليوم يواجه خطر تحويله بواسطة سلبيات الإعلام الأجنبي الوافد إلى مجتمع مفكك لا يلتزم بدين ولا بعقيدة ولا بخلق ولا بتقاليد إسلامية عربية إيجابية، كما أنه يشكل معول هدم لبناء الأسرة، وما لم يع هذا المجتمع العربي حقيقة ما يحاك ويدبر له من مكائد وما يدس له من حيل ومكر بواسطة مغريات الإعلام الأجنبي بطريقة "دس السم في العسل" وإن حكومات الدول العربية والإسلامية التي تتأثر بمجتمعاتها سلباً بتلك الإفرازات الإعلامية المشبوهة وبهذه الحرب الإعلامية الشرسة، مطالبة بعمل كل ما في وسعها لإيجاد القنوات المناسبة والكفاءات العلمية الخبيرة وتقديم الدعم اللازم بكل وجوهه لمقابلة هذا الغزو الفكري الخطير ومحاربته وإيقاف مدده، وذلك بإعلام إسلامي عربي متقن ومتمكن بأساليب علمية مدروسة ذات كفاءة عالية، وذلك لتفويت الفرص والمآرب لتلك المخططات الهدامة والخبيثة الهادفة إلى التغلغل في أعماق مجتمعنا العربي وإزاحته عن الطريق السوي الذي يسير فيه والذي يكفل له القوة والمجد والسمو، كما أنه من الضروري والواجب على كل رجال الفكر الأوفياء والإعلاميين العرب والتربويين في كل مكان أن يتحدوا ويتعاونوا لمواجهة هذه المعضلة الخطرة بغض النظر عن توجهاتهم السياسية والحسابات الشخصية فيما بينهم حتى يكونوا جميعاً يداً واحدة وقلباً واحداً ليقفوا

---

(١)طه نجم. **مرجع سابق**، ص٢٦٤.

(٢) هبة شاهين. **التليفزيون الفضائي العربي** (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٨) ص٣٤.

(٣)محمد سيد محمد. **الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر**. ط١ (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٤) ص ٩٢-٩٣.

متكاتفين سداً منيعاً في وجه الإعلام الأجنبي السلبي الوافد وتحجيمه وإيجاد البدائل المناسبة الهادفة والبناءة [١].

ولا نستطيع إغفال تأثير البث التليفزيون المباشر وسواء القادم من الخارج أو ما نبثه نحن إلى مواطنينا في العالم العربي في هويتنا الثقافية، إذ تشير معظم النتائج والدراسات إلى الإمكانيات الفنية الهائلة التي تتمتع بها المحطات الفضائية الأجنبية وما تقدمه من مواد إعلامية جذابة تخفي وراءها مخاطر عديدة يجعلها موضع اهتمام بعض الفئات من المواطنين في المجتمعات العربية، وتكمن الخطورة في أن هذه الفئات تتمثل في الشباب، ودون الدخول في التفاصيل، يوجد في العالم العربي الآن كثير من مظاهر التقليد والمحاكاة للثقافة الغربية على نطاق غير محدود، ويتمثل ذلك في عادات المأكل والملبس وممارسات الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية بين الناس وسيادة الحاجات المادية على المعنوية، أما ما نقدمه نحن في محطاتنا الفضائية، فيبدو تأثيره أخطر من البث القادم من الخارج، وربما ذلك لأننا نقدمه باللغة التي يفهمها مواطنونا، ولذلك تكون درجة الإقناع والتأثير مرتفعة ويزيد الأمر خطورة عندما نقوم بترجمة الأعمال الإعلامية الغربية إلى العربية وعرضها في محطاتنا التليفزيونية علاوة على ضعف الإنتاج المحلي في مجال البرامج والمسلسلات والأفلام [٢].

ويجب على الفضائيات العربية أن تحاول فهم الخطاب الدولي لعالم الثقافة وأن يكون لها دور إيجابي في التفاعل مع الثقافات العالمية، وإعطاء قسطاً أكبر وأوفى للثقافة العربية وهوية الثقافة الوطنية العربية وعدم الجرى وراء الربح السريع بالإنتاج الرخيص غير الهادف [٣].

ونظرا للأهمية القصوى لتواصل ثقافي عربي يجدر بالفضائيات الإلتفات إلى المخزون الثقافي العربي ومحاولة تعويض المشاهد عن فقدانه عادة القراءة وشيوع الأمية بين الجماهير العربية التي بهرها الإعلام الغربي بالرقص وكرة القدم [٤].

فالثقافة العربية هي حصيلة تندرج في إطارها كل عناصر التراث الإسلامي وهي ثقافة قديمة بل أقدم الثقافات الثلاث العربية واليونانية والعبرانية [٥] وهي ثقافة متفتحة أعطت غيرها وأخذت حتى كانت جسراً للمرور إلى الثقافة الغربية التي تشهد

---

(١) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. **مرجع سابق**،ص١٣٣.

(٢) طه نجم. ٢٠٠٥. **مرجع سابق**،ص٢٤٠-٢٤١.

(٣) فارس عطوان. **الفضائيات العربية ودورها الإعلامي**. ط١ (عمان: دار أسامة، ٢٠٠٨) ص ٣٤.

(٤) أحمد عبد الملك. فضائيات. **مرجع سابق**،ص٧١.

(٥) عباس العقاد. **الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبرانيين** (القاهرة: د.ن، ١٩٧٤) ص٣.

اليوم حالة التقدم الهائل فيها، ولأن للثقافة العربية هذه القيمة و هذا البعد، تعرضت لحالة الغزو وتعزيز الغزو منذ بدأ الاستشراق الذي مهد للغزو الاستعماري للمنطقة بوجه عام، من هنا تأتي أهمية الإعلام وبخاصة التليفزيون في مواجهة هذا الغزو وتعزيز الذاتية الثقافية وحمايتها، ويري البعض أن المواجهة مهمة الإعلام اليومي من صحافة وإذاعة وتليفزيون لالتصاقه المباشر بالجماهير بينما يري البعض أن الغزو الثقافي في حقيقته حرب فكرية وهو نوع من أنواع السيطرة على عقل الإنسان تمهيداً للسيطرة الشاملة [١].

ومواجهة الغزو الثقافي عملية فكرية ترتبط بالتقوية الذاتية والوعي الثقافي والنضج الإعلامي ويمكن من خلال هذه المفاهيم الثلاثة أن نحدد دور التليفزيون في هذه المواجهة [٢] من خلال دعم الذاتية الثقافية بتقديم برامج منوعة وجادة تهتم بتعميق الارتباط بالتراث القومي وتقديمه في صورة حية وليس شكلاً من أشكال الانعزال والتعصب.

إن مهمة الإعلام العربي بعامة، والمصري بخاصة شاقة، لأن القوى المعوقة له كثيرة و هو يحارب في أكثر من جبهة، وعلى الرغم من ذلك عمل الإعلام المصري في هذه الظروف و قدم أعمالاً من التراث تكشف عن روعة التراث وعظمته[٣].

وعلى القيم التقليدية أن تتجدد وتنبثق عنها قيم جديدة تكملها وتحافظ على خصائص الشخصية الثقافية القديمة ودمجها بالحضارة العالمية والتقنية التي تغزو العالم بالتأكيد [٤].

لا يكفي أن يكون للعرب قناة تليفزيونية تبث عبر الأقمار الصناعية، بل لابد أن تكون برامج هذه القناة في مستوى فكري وفني يمكنها من اجتذاب المشاهد العربي ومنافسة القنوات الأجنبية عليه ولابد كذلك من أن تكون هذه البرامج من نتاج عمل عربي مشترك ليجد فيها المشاهد العربي ما يعبر عن خصوصيته القطرية وهويته العربية وطموحاته الإنسانية، وأهم من ذلك كله لا بد أن يكون مضمون تلك البرامج من النوع الذي يعبر عن أحاسيسه وعن طموحاته وآماله [٥].

وأن معظم ما يشاهده الجمهور العربي من أعمال درامية وأفلام وأخبار تأتينا من الغرب وعلى وجه التحديد من الولايات المتحدة و هذه البرامج على اختلافها

---

(١) عبد الملك التميمي. **الاستثمار الثقافي الغربي في منطقة الخليج العربي** (الكويت: د.ن، ١٩٧٩) ص٣٠.

(٢) حسين أبو شنب. **مدخل إلى فن الراديو والتليفزيون**. ط١ (غزة: دار المنارة، ١٩٩٨) ص١٣١.

(٣)الفضائيات العربية ومتغيرات العصر. **مرجع سابق**. ص٥٧٣.

(٤) صالح أبو أصبع. **مرجع سابق**،ص٥٢.

(٥) تيسير أبو عرجة. **مرجع سابق**،ص١٢٠.

تحمل معها رؤاها الثقافية وتعبر عن قيم المجتمعات التي أنتجتها، وهي تترك تأثيراتها في الأفراد والجماعات وليس بالضرورة أن تكون تلك التأثيرات مباشرة لكنها تتسلل وتختزن، حيث تظهر تأثيراتها مستقبلا في الأفراد والجماعات مما يؤثر في قيمهم وأفكارهم ويؤدي إلى ظاهرة الاستناد الثقافي إذ يقع الأفراد في أزمة الاغتراب وخاصة فئة الشباب [١].

أهمية وسائل الإعلام في الحفاظ على التراث

فمنذ فترة طويلة عمد عدد كبير من دول الغرب إلى إيجاد وسائل إعلامية مختلفة كان من أهدافها محاولة التغيير من حال وواقع مجتمعنا العربي الذي يحمد له تمسكه بدينه وتراثه وتاريخه عبر الآلاف من السنين الماضية، وقد سعت تلك الدول لتفكيك اللحمة في منطقتنا العربية على وجه الخصوص بواسطة وسائل الإعلام المختلفة لعدة أغراض من أهمها العمل على تثبيت ما يسمى بـ"دولة إسرائيل" وقد أدركت تلك الدول والمؤسسات الغربية أن السياسة لوحدها بأشكالها وأساليبها التقليدية لا تكفي للتأثير اللازم والفعال لإقناع الرأي العام العملي للوصول إلى أهدافهم المقصودة إلا إذا سبق ذلك تهيئة مناسبة وبأساليب وطرق خاصة محكمة ومؤثرة فوجدوا الضالة الهامة والمؤثرة فعلاً في مجال الإعلام حيث استغلوه بدقة متناهية وبأساليب مدروسة بعناية حتى يصل تأثيره الفعال إلى السود الأعظم من الناس وبأي شكل من الأشكال والطرق الإعلامية المختلفة وإدراكاً من تلك الدول والمؤسسات الغربية بأهمية ذلك وتأثيره السحري على الشعوب وإمكانية الوصول إلى أهدافهم والمرجوة بواسطته فقد أنفقوا عليه الأموال بسخاء كبير وأقاموا له المؤسسات الإعلامية المتخصصة الضخمة بكل صورها مما هو مقروء أو مسموع أو مرئي [٢].

انتشار المحطات الفضائية ودورها في الحفاظ على الهوية العربية:

إن انتشار أجهزة استقبال القنوات الفضائية بشكل متزايد، وملفت للنظر سواء الثابتة أو المتحركة المفتوحة أو المشفرة، فلقد أدخل التليفزيون البيوت العربية عبر البوابة الفضائية وانتشرت المحطات الفضائية من أوسع أبوابها ويتزايد تأثيرها المباشر على عقول الصغار والكبار وذلك بامتلاك ومشاهدة القنوات الفضائية حيث تقع المنطقة العربية في بصمة قدم حوالي ستين قمراً منها أقمار عربية وأوروبية وآسيوية وبعضها أقمار محلية وأخرى إقليمية وثالثة **عالمية** [٣].

---

(١) صالح أبو أصبع. **مرجع سابق**،ص٥٣.
(٢) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. **مرجع سابق**،ص١٣١.
(٣) عاطف العبد ونهى العبد. **الإذاعات والقنوات المتخصصة**. ط١ (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٨) ص٧.

وتمثل الفضائيات من الوجهة العربية الثقافية والمعرفية إطار مادياً لإعادة تشكيل وتشييد الأفعال والسلوكيات، كما تمثل مجالات فعلياً لمراقبة وتوجيه المقاصد والغايات وليس تعليق الفضائيات الغربية، بمعنى ضرورة أن تعني القنوات العربية فعلاً كيفية تشغيل آليات إنتاجها على الصعيد الثقافي للوصول إلى مرحلة ناضجة للحسم، لأن الأمر يتطلب من جهة أولى انفتاح المسئولين عن التواصل في القنوات العربية على مستجدات الميدان الإعلامي دون تغليب الهاجس الأمني الداخلي ويقتضي من جهة ثانية تعميق التكوين المهني للإعلاميين حتى يتسنى لهم ضبط حيثيات الجوانب التقنية والفنية في معالجة الثقافة العربية معالجة إعلامية وفي الوقت نفسه الحفاظ على أصالتها [١].

وتعد القنوات الفضائية العربية بمثابة التراث المنطقي للأمجاد التاريخية العربية الغابرة وفي هذا الإطار إبراز الدور الذي تضطلع به القنوات الفضائية في دعم التلاحم وتعزيز التضامن بين المجتمعات العربية في الخارج، حيث تعكف هذه القنوات على أن توفر للمغتربين العرب والجاليات العربية مناخاً ثقافياً واجتماعياً يحقق لهم التواصل مع أوطانهم كي لا يفقدوا هويتهم العربية وشعورهم بالانتماء إلى الوطن العربي الكبير، ويمكن للقنوات الفضائية العربية أن تنهض بدور رئيس وفعال في رسم التوجهات والرؤى الصحيحة للجاليات العربية في الخارج بغية حمايتها من الأفكار الراديكالية ومخاطر الازدواجية الثقافية والفكرية،ثم طرح رؤية تحليلية للوضع الراهن الذي آلت القنوات الفضائية العربية في أداء دورها، مع التأكيد على الاحتمالات الكامنة في التطور والتقدم في المستقبل [٢].

ولابد للمحطات الفضائية العربية أن تعزز من القيام بدورها الإعلامي على الوجه الصحيح وأن تهتم بالثقافة والأدب والفكر والسياسة وان تراعي الهوية الوطنية الثقافية العربية وأن تجابه العولمة وأن تخصص برامج ثقافية إلى جانب البرامج الترفيهية والسياسية والدراما الجادة [٣].

---

(١)محمد مهنا . **مرجع سابق**، ص٣٨١.

(٢) محمد عابد الجابري. **العولمة والهوية الثقافية**: عشر اطروحات**في: المستقبل العربي**، ع ٢٢٨، فبراير، ١٩٩٨م، ص ١٧.

(٣) فارس عطوان. **مرجع سابق**،ص١٧٠.

التلفزيون وسيلة ثقافية

يذهب الباحثون في الإعلام إلى أن الراديو والتليفزيون أصبحا من أقوى الوسائل الإعلامية وأكثرها تأثيراً على الجمهور، وكما ساهمت الحرب العالمية الأولى في تطوير الراديو، ساهمت التطورات الالكترونية التي حدثت خلال الحرب العالمية الثانية في تطوير التليفزيون الذي سرعان ما انتشر وأصبح من أقوى وسائل الإعلام وأكثرها تأثيراً في مجالات الترفيه والإعلام والتعليم وأيضاً في مجال بيع السلع، وكان للتطورات التكنولوجية التي حدثت منذ الحرب العالمية الأولى تأثير كبير جداً على حياة البشر عزاه الكثيرون إلى ما يسمى بثورة الاتصال الجماهيري، ومن هنا يصبح التليفزيون في إطار ثورة الاتصال وسيلة ثقافية هامة من وسائل الثقافة تختلف عن الوسائل التقليدية، لأنها وسيلة في متناول الجميع وليس الصفوة المثقفة أو القادة فقط ؛ ولأنها بين الوسائل الجماهيرية أقدر على أداء أي وظيفة تتطلب الصورة والصوت معاً [١].

ولقد دلت كثير من البحوث الميدانية التي أجريت في عدد من الدول العربية على أن التلفاز أصبح المصدر الأول للإعلام وللثقافة العامة بالإضافة إلى كونه أداة للإمتاع والترفيه متفوقاً بذلك على وسائل الاتصال الأخرى، وهذا بالطبع يعني اتساع رقعة انتشاره وسعة نفوذه ومن ثم تأثيره في مجال تنمية اللغة على أساس أنها الوسيلة الأولى التي يتم بها توصيل المواد الإعلامية والثقافية وربما المواد الترفيهية أيضاً من خلال هذه الأداء[٢].

يدور نقاش كثير حول الدور المتميز للتكنولوجيا في فهم أنفسنا، فضلاً عن فهم تاريخنا المشترك فالتكنولوجيا بصفة عامة ثقافية منذ البداية، فهي تعبير عن وجهات النظر والطموحات وفي كتاب " جميس كاري " James Caery " الاتصال كثقافة أوضح (كاري) التحليلات الثقافية للتلفزيون مع تحليل العناصر البنائية والسياسية والصناعية في تكوين الوسيلة، ووصف التلفزيون باعتباره وسيلة تنهض على مقومات مختلفة ومتنوعة منها الاستراتيجيات والجماهير وأساليب الأداء، وتوضح تحليلاته إمكانية وجود فروع لدراسات التلفزيون تتضمن تحليلات

---

(١) جيهان رشتى: **النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية** (دار الفكر العربي: القاهرة، ١٩٧٧) ص أ .

(٢) تيسير أبو عرجة. **مرجع سابق**،ص١١٣.

النصوص المقدمة ودراسات عن الإنتاج وأبحاث التأثير وأخرى متعلقة بموضوعات تقنية [١].

وقدم " إيريك ميكلس Eric Michales " مناقشة مطولة عن العلاقة بين الثقافة وتكنولوجيات الإعلام من جانب آخر، فهو يفهم هذه التكنولوجيات على أنها أشكالاً ثقافية متلازمة، وهكذا فإن التكنولوجيا الفيزيائية نفسها يمكن أن نعتبرها أشكال ثقافية مختلفة، وفي مقارنة بين الثقافات الشفهية والإلكترونية ذكر " ميكلس " أن التلفزيون كوسيلة ثقافية يتميز بأن معلوماته تصل إلى كل المشاهدين في المجتمع بالإضافة إلى أن معلوماته تنتشر جغرافياً عبر الأقمار الصناعية بسرعة، وأخيراً يخلق التلفزيون سلطة غير شخصية ومعرفة أصلية [٢].

وكان من نتائج الثورة في مجال تكنولوجيا الإعلام أن روجت لمفهوم القرية العالمية وسنحت الفرصة لأن نرى برامج عن جميع أنحاء العالم يمكن أن تساعد في فهمنا للعالم الذي نعيش فيه ويستطيع التلفزيون العالمي أن يلعب دوراً هاما في تنمية الثقافات واحترامها ونقلها إلى المجتمعات الأخرى وتستطيع القنوات العالمية المتعددة تقديم اختيارات متعددة ومتنوعة، وتقديم خدمات خاصة مثل قنوات الأطفال والرياضة والمنوعات والأخبار وغيرها من القنوات المتخصصة [٣].

ولقد طرأت بالفعل تغيرات حقيقية وملموسة في جوانب هامة للثقافة المحلية منذ ظهور وانتشار السينما والتليفزيون والفيديو ومن أمثلة ذلك، ما طرأ على الفنون الشعبية وخاصة في القرى وفي الطرز المعمارية المنتشرة في المدن والقرى حديثاً التي لا تلائم البيئة العربية ولا الروح العربية وفي الأغاني والموسيقى الحديثة وفي طرق ومظاهر السلوك اليومي للمواطنين المباشر الذي ستتجاوز تأثيراته حدود ذاته، لأنه يصبح مع الوقت والاستمرارية والإلحاح واعتبار الجمهور والمهارة الفنية نموذجاً أصلياً سرعان ما يستلهمه الجمهور المحلي [٤].

---

(1)Tom Oregan، **TV as cultural technology: The work ofEric Michaels**، The Australianjournal of media & culture، vo1.3 no1.2، 1990. http://Kalimurdoch.edu.an/continuum/3.2/EM work.

(2) **ibid**.p:3

(3) http//Ka.Li,Murdoch.edu.au.htm Moira Rayner , **cultural identity in the age of global Television**.

(٤)فريدة النقاش. **حول أشكال التبعية الثقافية والإعلامية**. الحلقة الدراسية الثالثة لبحوث الإعلام. د.ت، ص١١.

كما أن التليفزيون أشد خطراً وأكثر تأثيراً من أساليب الاتصال الأخرى، وهي مسلمة مشكوك أيضاً في سلامتها، فضلاً عن عموميتها، ذلك أن التليفزيون لا يتحدد تأثيره بقدرته فقط على تقديم الصوت والصورة، ولكن بعناصر ومتغيرات عديدة ليس أقلها النظرة الثقافية للجمهور إلى التليفزيون والظروف المحيطة بإنتاج وتلقي المضمون، والثقافة الشعبية السائدة التي في إطارها تفهم المعاني ودلالات المشهد التليفزيوني[١].

ويمكن القول إن التلفزيون– خاصة بعد انتشار ظاهرة البث المباشر وتزايد المحطات الفضائية – أصبح يشكل محوراً مركزياً في حياتنا اليومية، وجزءاً من ثقافتنا، ويعد أيضاً وسيلة تساهم في تكامل المجتمع ثقافياً، وقد وصف سيلفر ستون (Silver Stone) التلفزيون بأنه وسيلة ساحرة معقدة مليئة بالتناقض، كما أنه وسيلة قوية يمكن بواسطتها الوصول إلى جميع المواطنين، وقد أكدت الكثير من النظريات منها نظرية تحليل الثقافة على دور الإعلام والتلفزيون خاصة في تشكيل الواقع الاجتماعي وتغييره، وقد اشتركت المنظورات التحليلية للثقافة مع المنظورات النقدية في تطوير أساليب جديدة لكشف تأثير الإعلام في الثقافة وتنمية هذه الأساليب، وعملاً على تطوير بناء نظري متكامل، وأكدا على أهمية الإعلام في تشكيل وجهات نظر الناس عن أنفسهم وبيئاتهم الاجتماعية، وأصبح ينظر إلى التلفزيون بأنه أكثر الوسائل التي تساعد في عولمة العالم إعلامياً وثقافياً، وتحاول الولايات المتحدة الأمريكية استغلاله في نشر ثقافتها وتعميمها مقابل طمس الثقافات الوطنية الأخرى [٢].

والتليفزيون كغيره من وسائل الإعلام لا يخاطب فئة بعينها وإنما المجتمع بأسره لما فيه من طبقات وفئات وذلك فإن تخطيط البرامج لا يقتصر على جانب واحد أو لون معين وإنما تكون منوعة مناسبة لمختلف الأذواق والاهتمامات والمستويات المختلفة وإذا كانت الثقافة تتخلل كل جزء من أجزء المجتمع وحياة الإنسان وهي تمثل التراث الفكري الذي تتميز به كل جماعة أو أمة من الأمم فإن البرامج يجب أن تكون منسجمة مع ذلك بحيث تجسد المفاهيم الثقافية المختلفة من علوم واختراعات وفنون وأنشطة فكرية واجتماعية ومعرفية [٣].

---

(١)عبد الفتاح النبي. **تكنولوجيا الاتصال والثقافة بين النظرية والتطبيق** (القاهرة: العربي للنشر، ١٩٩٠) ص١٤٥.

(٢) طه نجم. ١٩٩٨. **مرجع سابق**، ص ٢٤.

(٣) سعيد لبيب. **التخطيط الإذاعي على المدى البعيد** (القاهرة: كلية الإعلام- جامعة القاهرة، ١٩٦٨) ص٦.

التأثير الثقافي للتليفزيون:

يؤدي الإعلام وظائفه بطريقة فعالة عن طريق المشاركة والتفاعل حول قضايا المجتمع المختلفة والتأثير الاجتماعي وتأييد القيم والمفاهيم وتثبيت الهوية القومية والتعبير عن ثقافة المجتمع الأصلية من خلال وسائل الإعلام والثقافة المختلفة ، وفي ظل التطور والتقدم النوعي في المخترعات والإعلام أصبح بمقدور الإنسان التعرف على الأحداث ساعة وقوعها ويتابع أحدث الاختراعات أول بأول ويشهد على شاشة التليفزيون حوار بين أطراف في مناطق متباعدة في لحظة واحدة، من شأن هذا التطور أن يحدث أثره في العلاقات الاجتماعية في المفاهيم والقيم لما له من أثر في حركة الثقافة والمعرفة تبعاً للوسيلة والقيادة المسئولة(١).

ويعلم التليفزيون أفراد المجتمع أساليب مختلفة من السلوك الفردي والاجتماعي في مختلف الظروف، كما يوفر للإنسان معلومات لا تتوفر له في حياته العادية وقد تلعب هذه المعلومات دوراً ايجابياً أو سلبياً في عملية التكييف الاجتماعي، ويلاحظ أن الدراما المحلية والأجنبية تقوم بدور مهم في عملية تكوين السلوك الفردي والاجتماعي داخل المجتمع الذي أنتجت فيه حيث تعمل على ترسيخ مفاهيم معينة إذ تنقل القيم والمفاهيم وتنقل المسلسلات الأجنبية قيماً تختلف عن مجتمعنا لاختلافها في البيئة والنظم الاجتماعية والاقتصادية (٢).

البرامج الثقافية والتراثية ودورها في الحفاظ على الهوية الذاتية

إن البرامج التليفزيونية العربية، تستطيع أن تحقق هدفها الثقافي، حين توجه عناية خاصة لتأصيل الثقافة في الوطن العربي بمفهوميها الخاص والعام، وكذلك حين تتوسع في مفهوم التراث كعنصر من عناصر الثقافة في الأمة العربية والإسلامية، وتقدمه بأشكال فنية حديثة تفيد من إمكانات التلفزيون البرامجية والدرامية، ومتابعة التطورات الحديثة المستمرة المصاحبة لثورة المعلومات في العصر الحديث والاهتمام بالبرامج العلمية في تبسيط العلوم والتعريف بالجديد دائماً (٣).

وحين تقوم البرامج الثقافية برسم سياستها الإعلامية، يجب أن تسعى إلى تحقيق المعادلة الصعبة بين الأصالة والمعاصرة في مضمونها الثقافي، ذلك أن " الأصالة تتيح للأمة أن ترجع إلى شخصيتها وذاتيتها التي كونتها الأحداث والأجيال والمؤثرات الأصيلة في حياتها من الدين واللغة والآمال والعوامل الاقتصادية

---

(١) جيهان رشتي. **مرجع سابق**، ص٢٤٠.

(٢) عدلي رضا. **تدفق البرامج من الخارج في تليفزيون جمهورية مصر العربية. رسالة ماجستير منشورة** (جامعة القاهرة: كلية الإعلام، ١٩٨٠).

(٣) سهير جاد. **مرجع سابق**، ص٢٤٨.

والسياسية والاجتماعية والعقلية المتعددة [١]، والبرامج الثقافية في التليفزيون يجب أن تنبع من المفهوم العام للثقافة، والذي يذهب إلى أنها المكون الفكري في البناء الاجتماعي ويجمع الأفكار الأساسية للمكونات الأخرى سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وهي لذلك تتضمن عناصر ثلاثة هي: التراث التاريخي والحضاري في فتراته المتعاقبة والمؤثرات الداخلية المتفاعلة مع مكونات البناء الاجتماعي في فترة ما، والمؤثرات الناتجة عن الاتصال مع العالم الخارجي ومدى القبول أو الرفض للمفهوم العام والمفهوم الخاص للثقافات الأخرى [٢].

والثقافة مادة ليست سهلة التعاطي كما أن تحويل الأنماط الثقافية السائدة إلى فيلم وغيره يتطلب رؤية تليفزيونية قد يظنها البعض خروجا بالثقافة عن مضمونها، والنماذج التي نعاصرها اليوم كمؤشرات ثقافية تليفزيونية لا ترقى إلى ما نصبوا اليوم من نماذج ومن أفدح الأخطاء أن تعتمد الفضائية على البرامج المملة وليس لديهم علم بخصوصية الحوار التليفزيوني [٣].

وإن تنمية حاسة الرؤية الجمالية تتطلب عناية من البرامج الثقافية المرئية لمعاونة المشاهد على إدراك قيم الجمال الطبيعي والجمال التشكيلي (عمارة – نحت – تصوير- وغيرها) وليس باستطاعة أجهزة التعليم وحدها أن تنهض بهذا الدور، ومن هنا تتأكد الحاجة إلى تكامل التليفزيون مع أجهزة الثقافة لتطوير مفهوم التذوق الفني مع خلال برامجه الفنية بتقديم صور مرئية للمتاحف والمعارض من أجل تنمية الإحساس بقيم الجمال وإتاحة الفرص لمعايشة روائع الفن والطبيعة [٤].

ويقول ماجد يوسف رئيس قناة التنوير أن القناة معنية بالتراث في واحد من أهم أبعادها وتصوره كقيمة فاعلة وتقف منه موقفاً نقدياً وربما نقضياً، ولكن ليس من أجل الهدم وجلد الذات وإنما من أجل قراءة الحاضر والمستقبل ومن دعم الذات التي تنتمي لأصالة ممتدة وحضارة عريقة [٥]، ويقتضي ذلك تطوير برامج الفنون في التلفزيون وذلك بالاهتمام بتقديم تراث الحضارة الفذية وخاصة التراث التشكيلي في البلاد العربية، كما ينبغي أن تربط هذه البرامج بين الثقافة والفنون وتأكيد فكرة

---

(١) حامد طاهر. **دراسات عربية وإسلامية**. ج٩. ١٩٨٩، ص٥٢.
(٢) سهير جاد. **مرجع سابق**، ص٢٤٨.
(٣) أحمد عبد الملك. **فضائيات**. ط١ (عمان: دار مجدلاوي، ٢٠٠٠) ص١٢٧.
(٤) سهير جاد. **مرجع سابق**، ص١٦٩.
(٥) ماجد يوسف. **التنوير والتراث والقنوات المتخصصة. في:** مجلة الفن الإذاعي. ع ١٧٨ (القاهرة: اتحاد الإذاعة والتليفزيونإبريل ٢٠٠٥) ص١٣٢.

التثقيف عن طريق الفن، وتطوير البرامج لتحقيق هذا الهدف وذلك عن طريق ما يلـي [1]:

١) إحياء التراث التشكيلي بإعادة تقديمه تليفزيونياً برؤية عربية معاصرة.
٢) التعريف بالتراث الفني التشكيلي في الوطن العربي في العصور التاريخية المختلفة.
٣) إجراء الأحاديث والمناقشات من خلال البرامج الثقافية حول مختلف جوانب الإبداع الفني في التراث التشكيلي العربي وإبراز الجوانب الإيجابية فيه.
٤) تشجيع البرامج التليفزيونية التي تتناول حياة وأعمال الفنانين التشكيليين المصريين والعرب مع ضرورة الاهتمام بالنقد الفني وتوحيد لغة الفن التشكيلي ومصطلحاته على الصعيد القومي بالتعاون بين المنظمات والمجامع اللغوية وإذاعة ما يتفق عليه من خلال البرامج الثقافية.

ولقد لقي الفن الشعبي مجالاً رحباً في الإعلام عن أنواعه وتقريب المأثورات الشعبية التي كادت أن تندثر أو تختفي أمام زحف الفنون الحديثة، كما وجد مجالاً في التلفزيون والإذاعة فأردفت له برامج خاصة بجانب ما يقدم من فقرات ضمن البرامج المختلفة، بجانب ما يتناوله الكتاب والصحفيون من عرض مواد فولكلورية في الصحف والمجلات وما يقومون به من تعريف بأنماط الفنون الشعبية وإيضاح جوانب لم تكن معروفة منها داخل إطارها الاجتماعي مسجلة في تحقيقات صحفية من البيئة المحيطة [2].

وينبغي أن يدعم الراديو والتليفزيون الفن الشعبي الهادف الذي يعبر بصدق عن آمال الجماهير وآلامها، بالإضافة إلى ما يجب أن يقدماه من مواد أدبية وفنية وفكرية رفيعة المستوى ترقى بالمستوى الثقافي، وتنهض بالسلوك الحضاري وتستثير الطاقات الإبداعية في مختلف المجالات ولقد أكد معظم المشاركين في المؤتمر العالمي حول السياسات الثقافية الذي عقد في مكسيكو للفترة م (٢٦ يوليو – ٦ أغسطس) عام ١٩٨٢، على أهمية إدراك البشر لذاتيتهم الثقافية – إنها الطريق المبرمج لتنمية المواطنين - والتراث هو محور العمل الثقافي وهو لا يقتصر على جانب معين من جوانب الثقافة، وإنما يشجع جميع الجوانب، وإحياء التراث يحتاج إلى نظرة شاملة ورؤية حضارية ترمي إلى منهج جديد لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية لا يتبع أسلوب الغرب في كتابات التاريخ المادية أو الليبرالية بل يجب أن يكتب

---

(١) سهير جاد. **مرجع سابق**،ص١٧٠.
(٢) عبد العزيز أبو هدبا. **ثلاثون ليلة وليلة في المضافة الفلسطينية**. مركز التراث الشعبي (البيرة: جمعية إنعاش الأسرة، ١٩٩٥) ص١٥٥.

بتفسير إسلامي للتاريخ وكتابة من منطلق إسلامي سوف تبين عظمة المناخ الفكري والنفسي الاجتماعي [١].

ولقد قدم الإعلام المصري أعمالاً عظيمة من هذا التراث الغني، قدم الفرسان وكشف فيه أخلاقيات الحرب في الإسلام، وهي لم تكن حرباً عدوانية، لكن كانت للدفاع عن العقيدة والوطن لكن المحاربين المسلمين التزموا بأخلاقيات الحرب فلم يمثلوا بقتيل، ولم يعذبوا أسيراً بل احترموا الإنسان حياً وميتاً، ونأمل في المزيد من الأعمال التي تكشف عن القيم والمثل الرفيعة التي يتضمنها هذا التراث، كما أننا نريد من الإعلام المصري أن يكون الخطاب الإعلامي من خلال هذه الأعمال الفذية باللغات الأخرى[٢].

وقد استخدمت الأمثال الشعبية في السياسة والإعلام بعد أن وجد المشتغلون فيها وسيلة لتوظيف الأمثال الشعبية في خدمت الأهداف القومية والوطنية المرجوة، كالمثل: (اضرب والحديدة حامية) والمثل (ضربة على الحافر وضربة على النافر _ أو _ المسمار) ، كما استخدم المثل في الإعلام المضاد لإعلام العدو مثل: (وعلى مين تقرأ مزاميرك يا داود) وهناك عدداً كبيراً من الأمثال الشعبية ، يمكن استخدامها في التعليقات السياسية والإعلامية سواء في الصحافة أو الإذاعة أو التلفزيون [٣].

وإن للتراث أهمية كبرى في حياة الأمم، إذ يحمل مقوماتها التي ثبتت على مر الزمن فمنه حضارتها، ومقوم أصالتها وشخصيتها المتميزة ومنه تستمد أصول تطورها وازدهارها الفكري والمادي، وأن التراث المصري والعربي والإسلامي يزخر بنفائس يجب الحفاظ عليها وتوثيقها والإفادة بما تحتويه من قيم ومعارف، والتعريف بها من خلال وسائل الإعلام المختلفة ومن خلال التليفزيون بصفة خاصة [٤].

وينعقد الأمل على رجال الإعلام في تدعيم التيارات الفكرية التي تقاوم هذه السيطرة الغربية وتأخذ بيد الشعوب العربية من أجل بناء ثقافة قومية ذاتية، ويواجه رجال الإعلام مسئولية الاختيار بين الاتجاهات المتنازعة لإحياء التراث العربي، فمنها ما يحرص على الفروض العينية أكثر من حرصه على فروض الكفاية، ومنها ما يبرز دعوة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وآخرون يدعون إلى أسلمه العلوم

---

(١) عبد الحكيم بدران . **مرجع سابق**،ص١٩٠.
(٢)الفضائيات العربية ومتغيرات العصر. **مرجع سابق**،ص٥٧٥.
(٣) فؤاد عباس. **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**. ط١ (عمان: دار الجليل ، ١٩٨٩) ص٣٤.
(٤) سهير جاد. **مرجع سابق**،ص٢٣٩.

ومسئولية رجال الإعلام هي أن يوازنوا بين هذه الدعاوى حتى يقرروا بأنفسهم المنهج السليم لإحياء التراث [1].

وإن الغالبية من دول العالم الغربي، وبحكم متابعتهم للعرب وللمسلمين وتاريخهم وأنهم يبنون مجتمعاتهم بأساليب أخلاقية رفيعة نابعة من دينهم الإسلامي، أدركوا أن تلك الأساليب ستجعل من المسلمين والعرب أمة قوية بعقيدتها وأخلاقها وعندها أيقنوا أن هذا المجتمع المبني على الحق والاستقامة والتطلع إلى التطور والازدهار على ضوء تلك المعايير المضيئة سوف يقوي ويكبر يوماً بعد يوم، وإن استمر الحال على ذلك فإنه سيكون من الصعب جداً خلخلته وتفكيكه إذ لا يتناسب ذلك مع المجتمع الغربي الآخذ في الانهيار الخلقي والديني والانغماس في الملذات وعالم المخدرات ونحو ذلك، فتوجهت سهام الإعلام الأجنبي لتحارب هذه المبادئ والقيم ولم يدرك العرب خطورة هذا السلاح الجديد الذي أخذ يغزوهم في عقر دارهم، بل أنه وبعد أن ظهرت الثروات الطبيعية في أراضيهم راحوا يستمتعون بها في حين عمدوا من الجهة الأخرى إلى زيادة وتقوية تأثيرهم الإعلامي بصورة مختلفة، ومن ذلك الإعلام الذي يناشد العرب على التطور والتقدم على حساب معتقداتهم ومبادئهم المستمدة من دينهم وتاريخهم المشرف القديم وهنا أخذ الغرب يصدر لنا حضارته الممزقة أخلاقياً وليساهم ذلك في التفكيك الأسري ومنح الحريات المطلقة للشباب من الجنسين والابتعاد التدريجي عن الدين والمثل العليا والسلوكيات الإيجابية، كالبعد عن التقاليد الإسلامية والعربية البناءة والأصيلة وللأسف فقد أصبح أغلب مجتمعنا العربي فريسة سهلة تأثر سلبياً بمغريات المجتمع الغربي، ولكم أن تدركوا مدى التأثير الذي يحدث نتيجة مشاهدة متابعة الأفلام والمسلسلات الرخيصة والمدسوسة على مجتمعنا[2].

ولما كان دور وسائل الاتصال الجماهيرية في المجتمع الحديث لا يمكن تجاهله أو الإقلال من أهميته، فقد أصبح من الضروري البحث عن أفضل السبل للاستفادة من الطاقات الهائلة التي تملكها هذه الوسائل، والتي يمكن أن تعود بالخير على المجتمع إذا أحسن توجيهها وعرف أخطارها والأمل معقود على وسائل الاتصال الجماهيرية مع غيرها من المؤسسات التربوية الثقافية في تحقيق هذه الصحوة، وتصحيح المسار الثقافي لكي يعود إلى طريق القيم الأصيلة ويتحقق التوازن بين النمو المادي والنمو المعنوي في المجتمع، وأن التأثير بتيارات ثقافية خارجية ينبغي أن يكون في الإطار الذي يدفع المجتمع إلى التقدم ويعود عليه بالنفع المؤكد ولذلك

---

(١) عبد الحكيم بدران. **مرجع سابق**، ص١٨٩.

(٢) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. **مرجع سابق**،ص١٣٢.

يصبح من الضروري أن تستبعد الموضوعات التي لا تتفق مع ثقافتنا أو تتعارض مع نظامنا القيمي، أو التي تهدف إلى تدمير الروح القومية، أو التأثير على الشخصية [١].

ما من شك في أن التوجه لدراسة التراث الشعبي قد تأخر الاهتمام به في العالم العربي إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية على الرغم من غنى هذا التراث وأهميته ولقد ظهر مؤخرا العديد من المؤلفات والمجلات التي تعنى بهذا اللون من التراث وتلك خطوة مباركة في الاتجاه الصحيح ومن هذه المجلات " الفنون الشعبية " في مصر و" التراث الشعبي " في العراق والفنون الشعبية في الأردن والتراث والمجتمع في البيرة بفلسطين وعالم الفكر في الكويت وأصبحت هناك فرق شعبية متخصصة في الاهتمام بكل أشكال هذا التراث، تسعى للحفاظ عليه أمام الهجوم الكاسح الذي يتعرض له من الحضارة الحديثة الآخذة بالانتشار السريع، إذ كلما اتسعت دائرة انتشار التعليم العصري كلما ضاقت مجالات أدبنا الشعبي [٢].

والإعلام مطالب بالكشف عن الجوانب الحضارية المشرقة في تاريخنا لمزيد من الالتصاق بهذه الحضارة، ذلك أن الانفتاح المطلوب على مبتكرات العصر ومعلومات العصر يجب أن يتم ونحن موقنون بأصالة حضارتنا وتراثنا وقيمنا التي لا يمكن أن تبلى مع مرور الزمن[٣].

ونتساءل الآن عن دور الإعلام العربي هل سيستمر في تكريس التبعية الثقافية، أم أنه يدرك دوره في مواجهة التحدي الحضاري فيعمل على تمثيل الميراث الثقافي، بنقله إلى مكان الصدارة في تفكير الأمة للتزود به والاهتداء به في رسم خطوط المستقبل إن الأمة في الحقيقة تعاني اليوم الاغتراب من وجهين، الاغتراب الحضاري المعاصر لعجزها الإنجاز والمساهمة فيه والاغتراب التاريخي أيضاً لعدم قدرتها على الاهتداء به [٤].

---

(١) علي عجوة. **مرجع سابق**،ص١٥٩-١٦٠.
(٢) يوسف حداد. **المجتمع والتراث في فلسطين**.ط١ (بيروت: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٨٥) ص١١.
(٣) تيسير أبو عرجة.**مرجع سابق**، ص٤٦.
(٤) عبد الحكيم بدران. **مرجع سابق**،ص١٨٧.